

العلامة أبو نيهان الخروصي

ومنهجه الفقهي

د. مبارك بن عبد الله الراشدي



الطبعة الأولى
١٤٢١ - ٢٠٠١ م

العلامة أبو نبهان الخروصي

ومنتجه الفقيه

ح. مبارك بن عبد الله الراشد

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذى علّم الإنسان ما لم يعلم، وجعل له البيان نبزاساً إلى العلم؛ ورفع مكانة العلم والعلماء، لسلوكهم سبيل الانبياء. والصلاة والسلام على اشرف الرسل وسيد الخلق على الإطلاق محمد الهادى الامين، وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، اما بعد :

فهذا بحث صغير عن فقه أبى نبهان الشيخ «جاعد بن خميس بن مبارك الخروصى» علامة عصره ووحيد دهره، سميته: «الشيخ أبى نبهان الخروصى ومنهجه الفقهي».

ورحم الله امرأً عرف قدر نفسه، وإننى أعرف أننى لم أستطع ذكر حياة أبى نبهان بكاملها، ولا منهجه بالتفصيل، ولكن اكتفى بما سمح القدر من الله به؛ فإنه لا يصف أباً نبهان إلا من كان مثله، ولكنى وضعت بهذا البحث المفتاح على القفل كى يواصل طلاب العلم مسيرة البحث، وأنا متأكد أنهم سيأتون بأكثر مما أتيت.

ومن المعلوم عند الجميع أن مؤلفات «أبى نبهان» ما زالت مخطوطة لا تساعد على القراءة والاطلاع الكافى. ونظراً لكثرتها وحاجتها إلى فترة كافية من الزمن وبما أن الوقت قصير، ولا يكفى للإجابة عليها كلها، فقد التزمت بقطعة الاحكام من كتاب الجوابات،

ويكتاب حياة المهج، وبسيرة أبي نيهان، مع ما وجدته من تفسير الفاتحة المسمى: «مقاليد التنزيل»، وتركت الباقي؛ لغزارة المادة وكثرة أبواب الأحكام، وقد حاولت أن أختزل العبادات وما يتعلق بها، ولكن وجدت أن أبواب الأحكام كثيرة جداً؛ لأنها تدخل فيها الأحكام المدنية والجنائية والشخصية والسياسة الشرعية، وكل من هذه الأربعة بحر غزير يحتاج إلى رسالة، ثم رأيت أن أبين بادية الأمر «منهج أبي نيهان في الأحكام»، والحق أنه صعب أيضاً، ولكن حاولت الاختصار قدر الإمكان؛ وذلك لأن معرفة المنهج مدخل لمعرفة الأحكام، وهذا عمل جديد في حد ذاته يخدم الباحث في فقه أبي نيهان.

ولعل وعسى أن يقوم الباحثون بدراسة فقه أبي نيهان كله في المستقبل، ولا يفوتني أن أشير إلى أن آثار «أبي نيهان» متداخلة حسبما رأيت فيما وقع في يدي منها، وهناك مسميات كثيرة لآثار غير معروفة، ولعل بعض هذه المؤلفات فقد، وبعضها تداخل مع غيره. واقترح لذلك أن يُعتنى بها فتُجمع وتُصنف وتلقب باسم: «موسوعة آثار أبي نيهان». ولا تضير هذه التسمية جانب أصول الدين شيئاً؛ وذلك لأنها تدخل ضمن فقهه وآثاره.

وعند بداية العمل قسمته إلى فصلين كما يرى القارئ:

فالفصل الأول: يتحدث عن شخصية هذا العالم الجليل، ويتضمن سبعة مباحث.

أما الفصل الثاني: فيتعلق بمنهج أبى نيهان فى الفقه، ويتضمن تسعة مباحث، ولو أن المبحثين الثامن والتاسع خارجان عن المنهج، ولكن دخلا ضمن الفصل بحكم الأغلب. ثم الخاتمة.

وليعذرني قارئ هذا البحث عندما يلاحظ النقل أو التكرار؛ فإنما هى ضرورة اقتضاها العمل نفسه، وكما قلت سابقاً إنه عمل متواضع سريع.. ولكنها مساهمة وبداية لعمل أكثر جدية ومثانة. والله من وراء القصد، والهادى إلى سواء السبيل.

د. مبارك بن عبد الله الراشدى

الفصل الأول شخصية الشيخ أبى نيهان

يشتمل هذا الفصل على عدة مباحث :

- * المبحث الأول : نشأة الشيخ أبى نيهان .
- * المبحث الثانى : دراسته وشيوخه .
- * المبحث الثالث : اخلاقه وصفاته .
- * المبحث الرابع : تصوفه .
- * المبحث الخامس : مكانته الفقهية .
- * المبحث السادس : آثاره العلمية .
- * المبحث السابع : موقفه من العلم والفتوى .
- * المبحث الأول : نشأة الشيخ أبى نيهان :

(ولا: نسبه :

هو الشيخ «جاعد بن خميس بن مبارك بن يحيى الخليلي»،
نسبة إلى «وردان الإمام الخليل بن عبد الله بن عمر بن محمد بن
الإمام الخليل بن شاذان الخروصى»، نسبة إلى «خروص بن شارى بن
اليحمد من الأزديمنية»، ويلتقى هو والشيخ العلامة المحقق «سعيد
بن خلفان الخليلي»، فى الإمام «الخليل بن شاذان»^(١).

(١) ابن رزق - الفتح للمبين فى سيرة السادة البوسعيديين، (مخطوطة) ص ١٢٦، انظر: =

وكان مولده فى عام ١١٤٧ هـ / ١٧٣٥م فى قرية العليا من وادى «بنى خروص»^(١). وهذه القرية تقع على سفح الجبل الأخضر فى آخر الوادى بمكان مرتفع، فهى أولى بلدان الوادى من جهة الجبل وآخرها إذا دخلت الوادى من جهة العوابى. فهناك شُبٌّ وترعرع فى أحضان أبويه الكريمين، بين الجبال الشاهقة، والمياه المتدفقة، وخضرة النخيل الباسقة، فكان مرهف الحس واسع الخيال، ولم يكن مولعاً بالتعلم من صغره، بل كان رجل صيد ورفاهية حال كما سيأتى، وقد لقب الشيخ جاعد بالرئيس، وكنى بابى نيهان، ولا يوجد أحد من علماء عمان بهذه الكنية إلا هو كما سيأتى.

وعندما يقال الخليلى فهو نسبة إلى الإمام الخليل، والخروصى نسبة إلى خروص بن شارى، فالأولى نسبة إلى الفرع والثانية وهى أكثر شيوعاً نسبة إلى الأصل، ولا شك أنه فى النهاية يتصل نسبه بالنبي هود عليه السلام^(٢).

ويظهر للباحث أن نسبة آل خليل إلى الإمام الخليل بن عبد الله

= الشيخ عبد الله الخليلي - الحقيقة (مخطوط)، السيابى سالم بن حمود، إسعاف الأعيان فى انساب أهل عمان ١١١ بمكتبة الجامعة / قسم عمان.

(١) محمد بن راشد الحنصلي - شقائق النعمان: ١ / ١٣٩.

(٢) انظر السالمى - محمد بن عبد الله: نهضة الأعيان: ٣٢٣.

كما هو ظاهر من نسبه الشيخ المحقق الخليلي - لا إلى الإمام الخليل بن شاذان، وذلك لأن الشيخ جاعد من أولاد ورد بن الإمام الخليل بن عبد الله والشيخ سعيد من أولاد أخيه محمد بن الإمام الخليل بن عبد الله، والدليل على هذا الافتراض من جهة أخرى هو ما ذكره الشيخ محمد بن عبد الله السالمى فى كتابه (نهضة الأعيان) نقلاً عن الشيخ خميس بن جاعد من خط الشيخ خلفان بن عثمان حفيد الشيخ خميس حيث قال ما نصه فى نسب الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي: (من نسل الإمام الخليل بن عبد الله بن عمر بن محمد بن الإمام الخليل بن العلامة شاذان) (١).

فإذا عرفت هذا تبين أن نسبة آل خليل إلى الإمام الخليل الثانى لا إلى الأول فيكون ذلك أصبح نسبته إلى الأول لما ذكرنا.

وأما هى ابنة للشيخ عبد الله بن مبارك بن عبد الله بن ناصر بن محمد فهى ابنة عم الشيخ جاعد، ولم أعثر على اسمها (٢).

وللشيخ جاعد ستة إخوة ذكور وبنت واحدة، وعدد أولاده الذكور والإناث ثلاثة عشر من عدة زوجات، ويظهر من ذلك أنه كان ميسور الحال ذا أسرة كبيرة، عاش مستهل عمره قرير العين، ولا ننسى

(١) انظر بحث المؤلف عن الشيخ سعيد بن خلفان ضمن «قراءات فى فكر الخليلي»

ص ١١١ - ١١٢ ط ١ نشر وزارة التراث القومى والثقافة (للمتدى الادبى).

(٢) أخذاً من مذكرة نسب الشيخ جاعد التى أعدها الشيخ مهنا بن خلفان الحروصى.

أنه عاش حقبة طويلة من الزمن، فقد كان يناهز التسعين عاماً عندما وافته المنية رضى الله عنه وأرضاه^(١).

وبنى بيتاً كبيراً بالعوابي، وهو الذى يسمى الآن (حصن العوابي). وكان وطن آبائه مدينة بهلا، ثم انتقل جده مبارك إلى إزكي، ثم إلى الجبل الأخضر منحدراً منه إلى قرية العليا التى ولد فيها الشيخ ومن قبله والده خميس.

وكان كسبه من عمل يديه فى الزراعة، وخاصة النخيل والليمون والبرسيم والحبوب، وكان له أموال، ولم يأمر أولاده بالعمل فيها كل يوم، وقد حكى ذلك عنه ولده ناصر بن أبى نبهان. وما زالت المزارع التى كان يقوم بها باقية لذريته حتى الآن فى آخر بلدة العليا مما يلى الجبل، وبني مسجده الصغير هناك، ولا يزال المسجد باقياً كذلك، وعاش فى مستهل أيامه فى أمن وأمان بين بنى قومه فى وادى بنى خروص، ومضى على سيرة العلماء العاملين والفقهاء المصلحين.

المبحث الثانى: دراسته وشيوخه:

لم يكن الشيخ أبو نبهان مولعاً بالعلم منذ صغره، بل كان يحب

(١) انظر بحث المؤلف عن الشيخ جاعد اللقطنى فى الندوة العلمية للشرائط - لم ينشر، ويوجد بمكتبة جامعة السلطان قابوس.

البادية والصعود فى الجبال لتتبع الصيد البرى كما هى عادة كثير من الناس يومئذ، وكانت عنده بندقية ضعيفة للصيد وكثيراً ما تخطىء، ولكن إرادة الله غالبية، ونهوض الحظ له لم يقف امامه عائق، فقد سبق فى علمه أن يكون الشيخ عالم زمانه.

وهناك روايتان فى سبب دراسة الشيخ؛ الاولى: أنه فى يوم من الايام - حسب رواية الشيخ عبد الله الخليلي - أتى الشيخ جاعد إلى الشيخ العالم سعيد بن أحمد الكندى^(١) فى بلدة الهجار من نفس الروادى ليكتب له شيئاً من آيات الله البينات؛ لتعينه على جلب الصيد، بحيث يضع ما يكتبه له الشيخ على بندقيته كى لا يخطىء الهدف، ولكن الشيخ الكندى لمح من الشيخ جاعد قوة اللمعية وحدة الذكاء، فكان يحدثه ويسأله عن اخباره، فلما أفصح له عن طلبه قال له الشيخ الكندى - فى جواب الرجل الحكيم - : يا هذا، إن لى بندقية لا تخطىء الهدف ولا تعدو الثغرة، قُرب المرمى أو بُعد. فكان لهذا القول أثر فى نفس أبى نيهان، فقال له: أرنى هذه البندقية التى تذكرها. فذهب الشيخ الكندى مسرعاً فجاءه بكتاب ضخيم، فوضعه بين يديه، وقال له: هذه بندقيتى، فإن كنت ترغب فى الإصابة وإن لا تخطىء هدفاً ما حييت فتعال اعلمك الرماية بها. فقال: هيه. فألقى بندقيته الحسية وأخذ البندقية المعنوية، وخرج من

(١) سيانى ذكره.

صبغة البدو إلى صبغة الحضرة والتدبير والتفكير، وأكب على طلب العلم، وواظب على الدروس ليل نهار، حتى فتح الله عليه كنوز العلم والمعرفة^(١).

وفى رواية أخرى عن شيوخنا: أن الشيخ جاعداً خرج ذات يوم للصيد كالعادة، فلما رجع إلى المنزل وجد والدته قد أخرجت كتب آبائه المخطوطة، ووضعتها في الشمس؛ لتذهب عنها الرطوبة والأرضة، فلما رجع سألها عن سبب تخريج الكتب في الشمس، فأجابته على سبيل التهكم به. لماذا لا أخرجها في الشمس وأهلك لم يتركوا لها أحداً يقرأها إلا أنت وأمثالك ١٩

فتأثر الشيخ بتلك المقالة، فترك الصيد وواظب على الدرس والقراءة. ولا شك أنه قرأ على الشيخ الكندي، وقد تكون القصتان واقعيتين، وعلى أي حال فإن أحد السببين كاف في التحول عن مسار اللهو إلى مسار الجد والعمل الصالح.

ولازم الشيخ «جاعداً» الشيخ سعيد بن أحمد بن سعيد بن أحمد بن سعيد بن محمد بن سليمان بن عبد الله الكندي النزوى من أهل الردة، وقد خرج من نزوى إلى وادي بنى خروص؛ لظروف

(١) الشيخ عبد الله الحلي - الحقيقة: ١١ مخطوط، ابن رزوق - الفتح للبين: ١٤٦ نشر وزارة التراث القومي والثقافة ط ١.

كدرت عليه صفو عيشه، وتوفى بنخل، ولا تزال ذريته باقية إلى اليوم بها.

فاخذ عنه الشيخ جاعد فنون العربية كالنحو والصرف والبيان، وفنون العلوم الإسلامية كاصول الدين والتفسير والحديث والفقه والسير والتاريخ وغيرها، ورحل بعد ذلك إلى نزوى؛ فاخذ عن الشيخ العالم هلال بن عبد الله بن مسعود العدوى النزوى، وعن الشيخ العالم حبيب بن سالم الأمبوسعيدى النزوى، وأظنه من أهل فرق، وقد قال فيه ابن رزيق: (أعلم أهل زمانه، وقصدته الوفود بالمسائل من كل بلد من بلدان عمان)^(١).

وعاصر الشيخ أبو نبهان الشيخ محمد بن خميس بن سالم البوسعيدى، وكان بينهما تبادل آراء فى الأحكام^(٢).

ولكن الشيخ أبان بهان فاق شيوخه وأقرانه بعدما تبخر فى العلم، وفتح الله عليه من كنوز المعارف ما شهد به الركبان.

ويظهر لى - والله أعلم - أن الشيخ درس آثار العمانيين الأقدمين كثيراً، وخاصة آثار الشيخ أبى سعيد الكدمى فكثيراً ما يثنى عليه ويقولده، ويحتج بقوله فى مواضع كثيرة من جواباته، وذلك بعدما بلغ

(١) ابن رزيق - الفتح المبين: ١٤٦، وانظر مذكره الشيخ مهنا فى نسب الشيخ وحياته العلمية.

(٢) السيد حمد بن سيف البوسعيدى - الموجز للمفيد: ٨٦.

درجة الاجتهاد من العلم، ولقد تعلق بآثاره أيمًا تعلق، وشغف بها أشد الشغف - وهذه بعض النصوص التي قالها في أبي سعيد:

قال: (فانظروا فيه وفيما ذكرته إما مفصلاً، فإن الرجوع إلى صحيح الاثر أولى من تكلف النظر بلا علم ولا بصر، خصوصاً آثار هذا الشيخ الكدemy؛ لأن له اليد الطولى والمنزلة الأعلى والبصيرة النافذة، فهو من الجهابذة على ما ظهر له في الدار، فشهر في الفن الفقهي، فله دره من عالم بليغ ربّاني! ما أغزر وأقوى فهمه! وأصفى نظره! وأصح أثره! إنه في العالمين لنور يستضيء به لدينه في دنياه من الله هداه) ^(١).

وقال: (بل ربما كان الواحد أقوى نظراً في العلم من الجمهور، يدرك بنور غريزته ما قد غابت عن الجمهور رؤيته، وكلت بصائرهم عن دركه، إلا وإن هذا لهو الغالب على العلماء من الناس؛ لأنهم وإن كانوا علماء وإليهم ينسب العلم، فإنه لبينهم البون الشديد والفرق البعيد، والمستبصرون الذين صفت غرائزهم، واستنارت بنور العلم الغريزي قلوبهم، ونظروا الصحيح بعين البصيرة، وباشروا أسرار العلم الدينية بصحيح المعرفة، حيث بلغ بهم العلم إلى درجة الربانيين من الاحبار.. كالشيخ أبي سعيد - رحمه الله - ترجمان المذهب الحق على الصحيح، وربان الجوارى من الدين المنشآت في بحر الحقيقة على

(١) أبو نيهان جاعد، جوابات: ١٢٣.

الصواب - قليل. ألا ترى أنه يقصر الذين وجدنا آثارهم من مشايخ المسلمين عن البلوغ إلى درجة هذا الشيخ - رحمه الله - ١٩ فسيحان من جعله رحمة، إلا من عصى واستحب العمى على الهدى (١).

وقال: (وكفى «بابي سعيد» حجة ودليلاً، لمن أراد أن يتخذ لنفسه الحق سبيلاً؛ لأنه أعلم من تعلم من الأبحار، وآثاره أصح الآثار، لا على سبيل محض العصبية؛ ولكن لظهور أنوار الحق في أقواله المرضية) (٢).

وعده في موضع آخر من جهابذة العلماء المستبصرين بأنوار البصائر في علوم الشريعة، (٣) وصحح كلامه في غير موضع من جواباته (٤).

وبالجملة فقد اعتنى الشيخ بآثار الشيخ الكدمي، ودرسها دراسة واعية مع ما اثر عن السلف، فيكاد يكون هذا الشيخ أستاذه الأول.

المبحث الثالث: أخلاقه وصفاته:

كان الشيخ «جاعد» واسع الصدر، رحب الخلق، لا يضيق صدره

(١) أبو نيهان جاعد، جوابات: ٤٣٦.

(٢) أبو نيهان جاعد، جوابات: ٤٧٤.

(٣) أبو نيهان جاعد، جوابات: ٤٢٧.

(٤) انظر أبا نيهان جاعد - الجوابات ص: ٣٨، ١١٤، ١١٦، ١١٩، ١٢٢، ١٣١، ١٣٣،

١٣٨، ١٣٩، ١٤٨، ٢٠٨، ٣٣٩، ٤٣٩، ٥١٠.

بسائل، بل يتلقى كل طالب علم، ويظهر ذلك من أجوبته.. فهو لطيف فى جوابه، واسع الاطلاع، كثير النصائح لطلاب العلم وللسائلين كلما واثته الفرصة للنصيحة، فكتبه المشحونة بجواباته مدرسة تعلم القارئ والمطالع.

لا يفارق المسجد بعد طلوع الفجر حتى يصلى الضحى.. حدث بذلك ابنه الشيخ ناصر بن أبى نيهان^(١).

كان الشيخ يقف عند الحق، ولا يخاف فى الله لومة لائم، ولو كان عند أقرب الناس إليه.. حدث ولده ناصر بأنه هو وإخوته ربما تفوتهم سنة الفجر؛ فيصلون الفرض جماعة معه وذلك فى وقت صباهم - ويختفون عنه ويبدلونها بعد الفرض، فينهاهم الشيخ فلا يستمعون إلى نهيه، فما زالوا كذلك؛ لأنهم - كما يقول - يشتغلون بخدمة الاموال فى الصباح الباكر، ويقعد هو فى المسجد حتى يؤدى صلاة الضحى، فينسبون اداءها حتى تفوتهم، حيث يقول: (كان والدى - رحمه الله تعالى - يمنعنا أن نصلى سنة الصبح إذا فاتتنا بصلاة الفرض، جماعة معه بعد الفرض ونحن نختفى عنه ونبدلها بعد صلاة الفرض، ولم نزل كذلك ولم نستمع إلى نهيه؛ لأنه كان يقعد فى المسجد إلى صلاة الضحى، ويشغلنا هو بخدمة

(١) انظر السعدى - قاموس الشريعة: ١٣١/٢.

أمواله، فنذهب إلى خدمة الأموال، وننسى بدل السنة، هكذا فى غالب الاوقات إذا فات وقتها، وكان - رحمه الله - يشتد غضبه علينا، ونختفى عنه، ويقول: من اجاز لكم هذا؟ وهو يعلم منى أنى وجدت كلام الشيخ أبى سعيد - رحمه الله - فى ذلك^(١).

وحدث أيضاً عنه الشيخ باصر... بأن نبهان كان يقرأ للشيخ من مصنف^١ للشيعة، وقد كتب فى ذلك الكتاب «على» عليه السلام-، وعندما كان نبهان يقرأ يقول: مكتوب «على»- عليه السلام - أى بزيادة كلمة (مكتوب)، فاخذ الشيخ الكتاب، ونظر هذه الكلمة فلم يجدها فغضب على نبهان، ونهره، قائلاً: (اترك كلمة مكتوب، واقراء كما صنفه صاحبه «على»- عليه السلام -؛ لان هذا كلام غيرك، وإن زدته أوهمت السامع أن مصنف الكاتب صنفه كذلك^(٢)).

كان يحارب الابتداع فى الدين، فلا يرضى بتشريك أهل القبلة ولو كان ما كان، ويحذر من ذلك. وفى جواب له لمن سألته عن ذلك نهى عن الدخول فى اعتقاد تشريك المتولين لليهود والنصارى، فلا يحكم عليهم بحكم المشركين، ولكن يحكم عليهم بكفر النعمة وبإطلاق الفسق والنفاق عليهم، وأن مأواهم النار وبئس المصير،

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر - ص ٢٧٧ - ٢٧٨.

بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾^(١) إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾.

وخذ مثلاً مما كتبه، جواباً لمن سأله عما يقوله النجدية والازارقة، ويدعون إليه في رسالة طويلة، ونقتطف منها هذه الأسطر: (ويا من صبا من العمانية إليها ليت شعري ما الذي جعلكم عليها؟ أهو شدة رهبة فيكم من أهلها، فيعذر من اتقى أن يظهر ما جاز له في إعلان، فاسر في قلبه ما قد أضمره من الإيمان، ولم يأت ما ليس له أن يفعله بالاركان، ويجوز الفضل من امتنع منها ظاهراً فأبدي لله كبرها، ولم يرض بها قليلها ولا كثيرها، أو كان هذا منكم لرغبة فيها عن جهل بأوامها، أو علم بحرامها، أفلا تسألون أهل الذكر عنها قبل مرامها، فإنهم القادة لمن ألقى إليهم قيادة، فلا تقبلوا من غيرهم قولاً ولا عملاً في عموم ولا خصوص، إلا ما عرفتموه عدلاً، فجاز لكم أو لزمكم أن تقولوه، أو تعملوا به حيناً... وقد نزل بكم من هذه الفتنة العمياء والداهية الدهياء ما قد بان ضرره فيمن دنا منه، فأصابه شره، فلم أسرعتم الوثبة إليه، زهدا في الذي كنتم عليه، وبه النجاة ولا شك، لانه العروة الوثقى والحبل المتين من ربكم. فإن تكونوا في ريبة من إفاك من يقول على الله كذباً فدان في أهل الإقرار بالشرك، فاقرأوا

(١) النساء: ١٤٠، ١٤١.

رسالة «المهنا بن جعفر» ما دونه «خلف بن زياد» فى سيرته، وانظروا إلى ما أرسل به «محبوب بن الرحيل» إلى عمان فى أمر «هارون بن اليمان»، حين زلّ وأبى أن يرجع فضل، وما لغيرهم من السير مثل «أبى الخوارى وأبى قحطان وأبى المؤثر»، لعسى أن تجدوا ما قد أثبتوه وأثروه على الأولين. هذا يتم من فى زمانهم، ولمن يأتى من بعدهم فى الآخرين).. إلى آخر ما قال^(١).

وقد جاء فى هذه السيرة الشئ الكثير من الرد والبيان والحجة والبرهان والنصيحة الواضحة عن الانزلاق فى هذه الفتنة العمياء. كما أن الشيخ يجيز هدم ما بناه البغاة وقطاع الطرق من مراصد ضد المسلمين^(٢).

ويشتد غضبه على من يعاون الجبابرة على الظلم، أو يجبى لهم الصدقات والخراج، أو يدلهم على فعل ما هو غير جائز فى دماء المسلمين، وأعراضهم، وأموالهم. وأطال النصيحة لمن سألته عن مثل هذه المسائل، وهى كثيرة فى جواباته وفى كتابه «الدقاق لأعناق أهل النفاق» وغيرها. ولولا خوف الإطالة لآتيت ببعض النصوص المتعلقة بذلك^(٣).

(١) أبو نيهان جاعد - سيرة أبى نيهان ص ٥٠.

(٢) أبو نيهان جاعد - جوابات: ١٠٥.

(٣) أبو نيهان جاعد - جوابات: ١٠٥، ١٣٨، ١٨٠، ١٩٢، ٢٢٣، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢١٦،

٢٧٤، ٤٢١، ٥٣٩، ٥٦٩، ٥٦٧.

وكان ذا يقين بالله وثقته به على كل حال، حين توفي أحد أولاده، وكان في تلك الحال وهو يجيب سائلاً؛ فذكر له ما أصابه من موت ولده أوجعه، فحمد الله، واسترجع، وسأل الله المغفرة له ولولده^(١).

ولم يتزلف الشيخ إلى أمراء عصره، ولم يتقرب منهم، بل كان يقدم لهم النصائح، ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ولا يخافهم، ولا يرهبهم؛ شأنه في ذلك شأن علماء الآخرة^(٢)، ولولا خوف الإطالة؛ لا تبت بنص تلك الرسالة.

المبحث الرابع: تصوفه:

بلغ «أبو نيهان» في هذا الجانب مبلغاً عظيماً، لا يدانيه فيه أهل زمانه، فقد بلغ في علم السلوك ما جعله وحيد زمانه. ومن يقرأ قصيدة حياة المهج وشرحها، يعرف مبلغ ذلك العالم التحرير والزاهد العارف البصير بربه؛ فإن فيها ما لا يكاد يُدرَك، فقد غاص في علم السلوك، وعرف مداخل ومخارج هذا العلم، وما يؤدي إليه، وما ينتج عنه، وسرف أنقل لك نصاً من كلامه على مصطلحات مسميات النفس عند الصوفية، ونصاً آخر في تجلّي صفات الذات للسالك.

(١) أبو نيهان جاعد - جوابات: ١٤ .

(٢) أبو نيهان جاعد - أنظر الرسالة من جوابات: ص ٥٨٣ ، ٥٨٨ .

النص الأول فى صفات النفس قال ،

.. والمراد أن هذه الصفات على عددها كل واحدة منها فى النفس تقتضى كون ضدها، فى حالة الطرد والعكس، فيكون فى موتها كون حياتها، وعلى العكس فى حياتها كون موتها. وفى ذلها كون عزها وعلى العكس، ففى عزها كون ذلها. وفى غيبتها كون حضرتها، وعلى العكس ففى حضرتها كون غيبتها، وهذا صحيح. ولكن فيه لاهل الضعف فى الأفهام نوع غموض وإيهام فيحتاج فى حقهم لإقامة البرهان إلى مزيد بيان، حتى يتضح لهم المعنى بحال فيرتفع الإشكال، ومن البيان له أن يعرف أولاً المراد بهذه الصفات فى هذا الموضع، فإن الموت عبارة يطلق فى هذه النفس الدنية فى مصطلح الصوفية بوجه اختيارى، على الحمية لها من شهواتها الردية، ومنعها عن مواضع رداها المخالفة هواها، ومن مساوئها ورد دعاويها، والتهمة فى جميع مراداتها، والأنفة من مجاراتها، والتبرى من حولها وقوتها وطولها، والرجوع إلى الله فى جميع الامور، والاستسلام لامره فى التزام الطريقة بانوار الشريعة وأسرار الحقيقة، والخروج منها بالفناء عنها حتى تحمد فتتسلخ من رذائل صفاتها، وتنفسخ من غوائل آفاتها، وتطلع فى سويداها أنوار العرفان فتتسخ ظلماتها، وتنشر آثارها بالإحسان فى جميع الأركان، فتحيا لصفاء الأحوال بروح أسرار

المعارف والأحوال، وهذه هي الحياة الأبدية الموجبة للحياة
الأبدية^(١).

والنص الثاني من شرح البيت :

تجلى ظهوراً بالصفات لذاته إلى طوره فاندك من نورها شهباً
قال : (وذاته عبارة عن نفسه التي هو هي لاغيرها، وهي هو لا
غيره، لا إله إلا هو الحي القيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم، له الأسماء
الحسنى، والصفات العليا، ليس كمثله شيء في ذاته، ولا في شيء
من صفاته، تسبح له السماوات والأرض، تعالى عن الطول والعرض،
وعن درك الأفهام، وتصوّر الأوهام، وجل عن الكيف والالين، وعن أن
يرى في الآخرة والأولى بالعين، وتقدس عن أن يكون له لون، أو
يحوى نفسه كون أو تعتريه حركة أو سكون، أو يلحقه شيء مما
يلحقه الخلق؛ لأنه الملك الحق مقدس النفس عن كل نقص ورجس،
وقد آن إلى من هنا في هذا أن أقول : إنه مقام الذهول، وحيرة العقول؛
لأنه منقطع الإشارة لعجز العبارة عن حقيقة ذاته القدسية، من حيث
إنه ليس للخلق سبيل يصلون به إلى معرفته، إلا بالذى جعله لهم من
الأدلة عليها، ولم يجعل لهم علماً يدلهم على حقيقة ذاته، وإنما دلهم
على معرفته بأسمائه وصفاته، ونصب لهم من جوده أعلام شهوده

(١) شرح حياة للهج.

أدلة على وجوب وجوده، فبه عرفوه، ولولاه ما عرفوه بصفاته ولا سموه بشيء من أسماء أفعاله ولا أسماء ذاته^(١).

وكفى بهذين النصين دلالة على مقام هذا الشيخ العظيم في معرفته بربه، وتجرده من أغبار النفس الدنية، واتصافه بصفات المعرفة للذات العلية.

المبحث الخامس: مكانته الفقهية:

بلغ الشيخ «أبو نيهان» مبلغاً من العلم يز فيه أقرانه، وصار من الشهرة والمكانة الرفيعة فيه بحيث يشار إليه بالبنان، قال عنه الشيخ العلامة «سعيد بن خلفان الخليلي» عندما ذكر الشيخ ناصر بن أبي نيهان ووالده: (وهم كانوا أكثر منا علماً، وأصح نظراً، وإنا لهم في الحق تبع إن شاء الله) .. إلخ، ثم تمثل بقول القائل:

وابن اللبون إذا ما لُذُّ في قَرْنٍ لم يستطع صولة البُزْلِ القناعيس^(٢)

وقال عنه نور الدين السالمي: (إن أبا نيهان كان المتقدم على أهل زمانه بالعلم والفضل والشرف، واتخذته الناس قدوة في مرآشدينهم ومصالح دنياهم، وقلده الأفاضل أمرهم لما علموا من علمه

(١) شرح حياة المهج.

(٢) الخليلي .. سعيد بن خلفان - تمهيد قواعد الإيمان: ج١٣/ ٢٥٩ نشر وزارة أئراء القومى والأثقافة بسلطنة عمان ط ١.

وورعه^(١)، وكفى بشهادة هذين العالمين للشيخ بهذا المقام، الذى لا يقولونه إلا لمن كان مشهوراً بذلك؛ ولكونه بالغاً درجة كبرى فى المعارف الإنسانية.

وقال عنه الخصيبى :

وأخو الفضل جاعد بن خميس من خروص ومن ذوى المآثرات
شمس علم وكنز سر وكهف وشهاب مُردٍ لكل الطفافة
قال فى الشرح: (كان عين جهابذة العلماء فى ذلك الزمان،
والخبر الربانى المشار إليه بالبنان، وكان الفرد الوحيد فى علم الأسرار
فعنده ملكة قوية)^(٢).

واشتهر علم الشيخ «جاعد» وتخريجاته الفقهية بين الخاص
والعام، وعرف بالعالم الربانى وبالشيوخ الرئيس، ومدحه شعراء عصره
بقصائد طويلة، ومما قاله فيه «الدرمكى» من قصيدة طويلة :

وإن أبا نبهان للنابه الذى تنبه عنه منه بيض الفعائل
فيفضح مهما جاد هملان وأبل ويفضح مهما قال سحبان وأثل
وينصب أعلاماً من العلم عاملاً وأنى رأيتم عالماً غير عامل

(١) السالمى .. عبد الله بن حميد - تحفة الأعبان بسيرة أهل عمان ج ٢ / ١٨١ نشر وزارة التراث القومى والثقافة ١٩٨١ .

(٢) الخصيبى .. محمد بن راشد بن عزيز - شقائق النعمان : ١ / ١٣٩ نشر وزارة التراث القومى والثقافة ط ٢ / ١٩٨٩ .

ويسخو بجود للموالين نافع ويسطوا بسيف للمعادين قاتل
فلم نر إلا راضعاً در عارض ولم تر إلا صالياً نار صائل
فيتلو علينا سورة الشمس وجهه وأخلاقه تتلو كتاب الشمال^(١)
ويقول الشاعر «راشد بن سعيد بن بلحسن العبسي» أيضاً في
مدحه من قصيدة على الحروف الهجائية في بداية كل بيت بحرف:
صنع الخروصي الصلاح ووصفه بصوابه لم يحصه إحصاء
ضخمت فضائله فضايق ببعضها عرض الفضاء وبعضهن ضياء
طم الفطانة والطباع تعطفنا للطائعين وطاعة وعطاء
ظان بوعظ الواعظين بلفظه ظعن الظما والظلم والظلماء^(٢)
ومن الذين مدحوه في حياته.. الشيخ العالم منصور بن ناصر
الخروصي الستالي، والشيخ الفقيه ناصر بن محمد بن سليمان
الخروصي الحاجري السمائي، والشيخ سيف بن ناصر الغشري،
والشيخ سعيد بن حسن بن درويش الخروصي، والشاعر حميد بن
محمد بن رزيق النخلي، والشاعر علي بن خميس بن عامر الحراصي
الجبري وغيرهم كثير. وقد جمعت قصائد مديحه في ديوان كامل
أطلق عليه لقب (قائد المرجان في مدح أبي نبهان)^(٣).

(١) الخصبي، المصدر السابق ص ١٥٠.

(٢) المصدر نفسه ص ١٥١.

(٣) المصدر نفسه ص ١٤٨.

وكان الشيخ جاعد من العلماء العاملين، والفقهاء المجتهدين،
وإلى مرضاة ربهم من السالكين الذين مدحهم الله في كتابه عز من
قائل: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ
يَسْتَغْفِرُونَ (١٨)﴾ وفي أمثالهم حق للسائل والمحروم (١).

فكان عابداً لله متبتلاً إليه، لا يفارق مسجده إلا الحاجة عياله
وماكله ونومه، عاش طالباً للعلم مطلوباً فيه، يرد إليه السائل من كل
أنحاء عمان في أمر الدين والدنيا، ويردحم إليه طلبه العلم، وكان
شديد الغيرة في دين الله، لا يخاف فيه لومة لائم، وقد قام بواجب
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حسب استطاعته في زمانه، وله في
ذلك مواقف مشهورة، وصحائف ماثورة، ذكر بعضها «نور الدين»
في تحفته (٢)، والشيخ «عبد الله الخليلي» في رسالته (الحقيقة) (٣)
وغيرهما.

وانظر ما قاله الشيخ «عامر بن علي العبادي» في جواب له: (وقد
كفاني دليلاً ومنهجاً وسبيلاً من سلك بحالي دار السلامة ومقام
الكرامة الباقي إلى يومنا هذا في مصرنا وعصرنا وهو الشيخ «أبو نبهان
جاعد بن خميس الخروصي العلبياني» - رحمه الله تعالى - وهو
الإمام لاهل العدل من ملة الإسلام في هذه الدولة وهذه الايام، وهو

(١) لذهابات - الآيات من ١٧ - ١٩.

(٢) الخليلي... عبد الله بن علي، رسالة الحقيقة ص ١٥ وما بعدها.

(٣) آية ١٤٩ - سورة الأنعام.

القدوة لمن جاء بعده من الأعلام، وهو الأمة، والقائد من اقتدى بآثاره الصحيحة إلى الجنة، فسبحان من بعثه في هذه الأمة في آخر الزمان بشيراً للمؤمنين ونذيراً للمجرمين، وداعياً للغافلين إلى الله بإذنه إلى سبيل مرضاته بالتزام طاعته، وسراجاً للمهتدين منيراً في هذه الليالي المكفهرات، يقول تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(١) والحمد لله الذي جعل لكل قوم هاد إلى يوم المعاد، جزى الله «أبا نبهان» أفضل ما جزاه^(٢) به إماماً أقام له بقسطه في بريته، وجاهد وشمّر وذاد عن محارم رعيته على ما أوضحه للعالمين من البرهان وبينه بأوضح بيان). .. فهذا كلام رجل معاصر للشيخ «أبي نبهان»، وهو عالم به وعلم في زمانه، وقد نص على أنه كان إمام زمانه، وأنه قام بواجب الدفاع عن الدين ورد البدع، وأوضح دين الله للناس من حلال وحرام، ودعا إلى الله على بصيرة، وأقام الحجة على المعاندين.

وأضيف - إلى ما كتبت هنا - عبارة قالها الشيخ «سعيد بن ناصر الكندي»، وهو عالم مشهور في زمان الشيخ «أبي نبهان»، بل هو من شيوخه في رده له حين سأل عن كلام الشيخ «أبي محمد» في تعارض أقوال المجتهدين في المسألة الواحدة، حيث قال: (إن الحق في

(١) لعله جزى به.

(٢) السعدى.. جميل بن خُميس - قاموس الشريعة، ٢١١/١٩ نشر وزارة الفنون القومية والثقافة ١٩٨٨.

واحد والباقي خطأ عند الله). فلم يصوب الشيخ «الكندى» الشيخ «أبا محمد» في ذلك. ثم على أثر جوابه قال: (وفى حسابي إنه لا يغيب عليك أمثال هذا)، ثم قال: (وانظر ما كتبته لك، ولا تقبل منه إلا ما وافق الحق)^(١).

وقد عجز علماء عصره عن مجاراته في الاجتهاد، وفي سؤال وجه لآبته الشيخ «ناصر بن أبي نيهان» حول الاجتهاد، قال السائل: (وقد اتفق العلماء في بعض الأمصار على تحريم القهوة، ثم أتى من بعدهم والدك - قدس الله سره ونور فكره - ورأى أن تحليلها هو الأعدل، وأظهر الحجج على ما رأى، حتى ظهر نوره في عقول ذوى العقول من الورى إنه هو الراى الأكمل)^(٢).

وفى جواب الشيخ ناصر لمن سألته فتعرض لذكر والده في الجواب، ثم قال: (ولا يشك أحد في علو درجته في الفهم، وفضيلة منصبه في العلم). وقال في مواضع أخرى: (وحيث لم يرد الله الملك الخلاق، أن يكونوا على هذا الاتفاق، كشفه الله على من ألهمه بجنانه، فأجراه على لسانه، فاستعمله في بلدانه، ولم أنقرده فيه بنفسي، بل أعاننى عليه بتصحيحه والدى «أبو نيهان»، لمن اتخذته عوناً عليهم من الإخوان)^(٣).

(١) السعدى - نفس المصدر السابق ص ٩٨ - ٩٩ - جوابات.

(٢) السعدى - المصدر السابق: ٢/ ٢٦٢.

(٣) نفس المصدر ص ٢٦٥.

هذا كلام هؤلاء العلماء الجهابذة فى علو مقام الشيخ أبى نيهان ورسوخ قدمه فى العلم، ولا شك أنه كان فى زمانه وبعد وفاته صار مشهور المكانة بين الخاص والعام، فإذا كان هذا موقف الخاص منه، فكيف بمواقف العامة؟ ولله فى خلقه شؤون، يختص برحمته من يشاء، كما يجعل الحكمة فى قلب من يشاء.

ولا أدل على ذلك من كلام الشيخ «أبى نيهان» نفسه فى مراسلاته وجواباته، فقد جاء فيها ما يغنى طالب العلم عن البحث عن شهادات المشهود وأقوال العلماء فيه، وسأنقل لك نصين؛ ليتبين موقفه من الدفاع عن الإسلام وأظهار معاملة.

النص الأول.. من رسالة له: (بسم الله الرحمن الرحيم. يا من وصلنى كتابه فلم أدر من هو جزاه الله خيراً، هذا عنى جوابه.. إن عمان لا يخفى على من بها ما قد ظهر على الغالب من أهلها فشهد من الفساد والطغيان، وهذه نازلة أخرى زيادة على ما هم به من البغى والعدوان، وكأنها من أختها أكبر وأقبح وأضر؛ لأنها داعية فى دين الله إلى إطفاء نوره واخماده، وإظهار ما لا شك فى فساده؛ لعدم صوابه بدليل ما قد أنزل الله به على رسوله فى كتابه، وخوفى أن تعم البلدان، فتمحو خير الأديان أو تبقى به فى كتمان. ألا فاتقوا الله بأداء ما أمره، والانتهاه عما عنه زجر، ولا تركنوا إلى من دعاكم إلى متالف الردى، تاركين لما كان عليه أئمة الهدى، فإنهم أقرأ للتنزيل

واعلم بالتأويل، وأدل بالطريقة المثلى إلى منازل العلى، وقد ضربوا فى منارها الصوى، فبصروا من العمى، وأمروا بالتقوى، ونهوا عن متابعة الهوى، وأوضحوا لكم فى دين الله ما لا مزيد عليه من الهدى، ودلوكم على المحجة البيضاء التى كان عليها سيد الأنبياء، فعرفوكم ما تأتونه فرضاً ونقلاً، وما تذكرونه نية وقولاً وفعلًا، وبينوا لكم من زاغ عنها من أهل الجهالة، فجادلوا أهل الزيغ بالتى هى أحسن لما بها من دلالة على صحة ما هم به وعليه وفساد ما عداه، حتى ظهر الحق، وبطل ما خالفه من دعوى العمالة الخ^(١).

النص الثانى .. جواب لمن سأل عن رجل يدعى عمير بن محمد الغلابى، ولا أدرى أعمانى هو أم لا؟ حيث ادعى النبوة، وصار يدعو الناس إلى تصديقه. ومما جاء فى جواب الشيخ «أبى نبهان»: (فإن كان ما قد ظهر على لسانه من دعوى نزول جبرائيل بالوحى على جنانه أو يكلمه به، فينبغى لكم من طريق الواجب فى تصديقه والعمل به أن تنظروا فيه نظر من أجهد نفسه فى جواز تحقيقه قبل سلوك طريقه، فإنى لا أدرى لما ادعاه فى الحق وجهاً يجيز لبعده من الصدق وإن صح أن له قريباً من الجنة يأمره أن يصدق به فى الناس فيظهره، فليس هو إلا من خدع شيطانه فاضله، وأعمى قلبه عن طريق

(١) أبى نبهان جاعد - سيرة أبى نبهان - مكتبة المخطوطات بوزارة التراث القومى والشفافة

رشدہ فازلہ، اَلَمْ یَبْلُغْ اِلَیْہِ قَوْلَ اللہِ تَعَالٰی : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ اَبًا اَحَدٍ مِّنْ رَّبَّجَالِکُمْ وَلٰکِن رَّسُوْلَ اللّٰهِ وَخَاتَمَ النَّبِیِّیْنَ ﴾^(۱) او لیس فیہ ما دل اِنہ لا نبی بعدہ، بلی ومن اصدق من اللہ قیلا، کلا وَاِنہ اصدق القائلین... اِلی اَن قال : فاحذروا امثالہا وَاِباکُم وتصدیق من قالہا، فَاِنہا لَلسَالِکِ لَمَنْ اَضِیْقُ الْمَسَالِکِ لِقَوْلِهِ تَعَالٰی : ﴿ وَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرٰی عَلٰی اللّٰهِ کَذِبًا اَوْ قَالَ اُوْحٰی اِلَیَّ وَلَمْ یُوْحَ اِلَیْہِ شَیْءٌ وَمَنْ قَالَ سَاُنْزِلُ مِثْلَ مَا اَنْزَلَ اللّٰهُ ﴾^(۲) . اَلَا فَاتَّقُوا اللّٰهَ وَذَرُوا مَا لَا وَسْعَ فِیْہِ مِنْ تَقْوٰیہِ وَغُرُوْرہِ لِمَا بہِ مِنَ الْاِفْکِ الْمُؤَدِّیْ بِاَہْلِہِ اِلَی الْنِّفَاقِ اَوْ مَا قَرَّوْہُ مِنَ الشِّرْکِ ، وَمَنْ الْوَاجِبُ عَلٰی مَنْ قَدَّرَ اَنْ یَّقَابِلَہُ بِنَکِیْرَہِ ؛ لِاَنَّ الْوَحٰی قَدْ اَرْتَفَعَ لِمَوْتِہِ ﷺ فَانْقَطَعَ عَنْ الْاَرْضِ ، اِلَا مَا یَکُوْنُ مِنَ الْاِہَامِ اَوْ رَوِّیَا فِی مَنَامٍ (الخ)^(۳) .

وقد افاض الشیخ فی الاستدلال علی کذبہ . وھناک رسالۃ اُخری فی ھذا المجال ، ومقطع من رسالۃ ثالثۃ فی الموضوع .

ومن ھنا یتبین اَن الشیخ کانت ترسل اِلَیْہِ عوِیصات المسائل ، ویطلب منہ حلاً لِتَکْثُرِ الْمَشْکَلَاتِ ؛ لِاَنہِ عَالَمٌ زَمَانِہِ ، بَلْ مَرْجِعُ الْعُلَمَاءِ فِی عَصْرِہِ کَمَا سَبَقَ وَاِنْ بَیِّنْتَ ذَلِکَ فِی ھَذَا الْمَبْحَثِ ، وَلَا

(۱) الاحزاب آیۃ ۴۰ .

(۲) الانعام آیۃ ۹۳ .

(۳) ابو نبھان جاعد - سیرۃ ابی نبھان : ص ۸ .

أحب الإطالة فى الموضوع، وإذا كان الأمر كذلك، فلا شك أن للشيخ آثارا فى هذا الميدان سواء المحمول فى الصدور أو المنقول فى سطور.

المبحث السادس: آثاره العلمية:

أولاً: من حمل عنه العلم، ولا شك أنهم تلاميذه الذين لازموه فى الدرس والتحصيل، إذ لا بد للعالم من أن يؤثر فى مجتمعه وخاصة فىمن حوله ويتأثر بهم فكيف بمن خالطهم وخالطوه، فالعالم كعبة لطالبي العلم أينما يكون، فهو كالغيث أينما وقع نفع. وطلاب العلم لدى العلماء هم الكفيلون بنقل موروثاته الفكرية إلى الناس، وهل نقل سنة النبي ﷺ بأقسامها إلا أصحابه وهكذا.

والشيخ «أبو نيهان» كان من جملة العلماء الذين بذلوا العلم لطالبيه، فكان مسجده الموجود ببلدة العليا هو مدرسته التى يتزاحم فيها الطلاب بالركب، وهذا المسجد ما زال موجوداً ببلدة العليا على سفح الجبل، فنهل الطلاب من علمه الغزير وقصده السائلون والعلماء فى ذلك المكان النير، وكما قيل: بجيرانها تغلو الديار وترخص. أو كما قيل:

مررت على الديار ديار سلمى أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبى ولكن حب من سكن الديارا
وأول من حصل عنه العلم أولاده الكرام، وأول من نبغ منهم فى

العلم وتأثر بطريقته الشيخ «ناصر بن أبى نيهان» فهو أغزرهم علماً، وأعمقهم فهماً فيما بلغنا، وله مؤلفات عدة وعاش أكثر عمره فى العليا، ثم انتقل إلى نزوى، ثم غادرها إلى زنجبار، وتوفى بها عام ١٢٦٣هـ^(١). والشيخ «خميس بن أبى نيهان» قد دفن بجوار أبيه فى بلدة العليا^(٢)، والشيخ «نيهان بن أبى نيهان» كنى به والده - ولعله أكبر أولاده - وتوفى - رحمه الله - فى بلدة العليا على رواية أحفاده عام ١٢٣٦هـ أى قبل وفاة والده بسنة^(٣) وكذلك بقية إخوتهم، فاتصفوا بالعلم والورع والمعرفة والحصال الحميدة.

وأما من كان من غير أولاده فكثير، ومنهم:

الشيخ منصور بن ناصر بن خميس، وهو ابن أخ الشيخ جاعد، وقد شرح لامية ابن النضر^(٤)، والشيخ سعيد بن محمد بن راشد الخروصى المعروف بالغشرى^(٥) صاحب الديوان، وهو ممن

(١) انظر بحث المؤلف: الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي وفكره ضمن قراءات فى فكر الخليلي - نشر المنتدى الأدبي.

(٢) أراد للمسلمون فى زمان الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي أن ينتصروا الشيخ خميس إماماً لهم بالمرستاق؛ لعلمه وأهليته فابى، انظر السالى - تحفة الأعيان ٢/ ٢١٩.

(٣) وذكر نور الدين فى التحفة أنه قتل بنزوى فى نفس العام، انظر جـ ٢/ ٢٦٩ وما بعدها.

(٤) يبدو لى أن الشيخ الغشرى ليس من تلاميذ الشيخ أبى نيهان، حيث إن الغشرى من مواليد العقد الثانى من القرن ١٢هـ بدليل أنه: ١١٣٧ قد رثى أمه. ١١٣٧ أرخ لبناء مسجد الشدوابة. ١١٤٤ أرخ لبناء منزله. ١١٤٦ أرخ لهطول الأمطار والسيول التى أفسدت الزرع.

وهذه التواريخ كلها قبل مولد الشيخ جاعد (ت ١١٤٧) ولا يمكن أن يتمكن من الشعر، إلا إذا بلغ ١٨ وزيادة؛ ولهذا من الممكن أن يكون من مواليد عام ١١١٩ أو =

رثى والد الشيخ جاعداً، وتوجد له فى ذلك عدة قصائد ضمن
الديوان .

وأبو محمد عبد الله بن مجيد بن ناصر الخروصى من أهل
العوابي، الذى قال فيه الشيخ أبو نيهان : (لو اجتمع عليه العلماء
إماماً لكنت أول من يبايعه ؛ لكمال شروط الإمامة فيه، والشيخ حسن
بن درويش بن سعيد الخروصى من العوابي أيضاً وولده سعيد بن
حسن، وقد كان شاعراً نابغاً وفقياً بارعاً، والشيخ راشد بن سعيد بن
أبى نيهان وهو ولد ولد الشيخ وكانت له معرفة بالأدب . . وغير هؤلاء
كثير .

ثانياً: مؤلفاته الفقهية :

ترك لنا الشيخ «أبو نيهان» عدة مؤلفات، كان أكثرها فى الفق
بجانب ماله من مؤلفات فى السلوك وعلوم اللغة العربية وأشعار
وغير ذلك مما ذكر عنه، ولم نعر عليه . ولكن ما يهمنى هو
المؤلفات الفقهية، وبها تظهر مكانة الشيخ فى هذا الميدان، وإليك
بيانها :

= قبلها وبأثنائى يكون عمره حينما ولد أبو جاعد نحو ٣٠ سنة، وحين بلغ جاعد ٢٠ سنة
يكون عمر لغشرى خمسين سنة وأن الجمالة التى تمت بين الغشرى وأبى نيهان لا يمكن
أن تتم إلا حينما يبلغ الأخير ٣٠ سنة على أقل احتمال، وفى هذه الحالة يكون الشيخ
لغشرى تجاوز ٦٠ سنة فكيف يكون من تلاميذه ١٩ واعتقد العكس أن أبى نيهان كان
تلميذاً للغشرى . والله أعلم .

١- «الدقاق لأعناق أهل النفاق» .. وهو فى السياسة الشرعية، وأحكام أموال الجبايرة والتعاون معهم .. وتوجد منه عدة نسخ بمكتبة وزارة التراث القومى والثقافة، وأخترت واحدة منها تحت رقم ٢٣١٣ عام ١١٠ ب خاص، وتحتوى على مائتى صفحة من خط الناسخ سالم بن شامس بن سنان المنذرى، وتوجد منه نسخ أخرى بمكتبة المخطوطات تحت أرقام أخرى.

٢- «أحكام المساجد والمدارس وما أشبهها» .. وقد ذكر أنه جزء من كتاب المستطاب، وهو الثانى، وتوجد منه عدة نسخ بوزارة التراث القومى والثقافة، وقد اخترت نسخة تحت رقم ١٢٠٤ عام ١١١ ب خاص، وتحتوى على ٣٣١ ورقة.

٣- «إيضاح البيان فيما يحل ويحرم من الحيوان» .. وتوجد منه عدة نسخ فى وزارة التراث القومى والثقافة، وقد سجلت منها نسخة تحت رقم ١٠٩٧ عام ١٠٨ ب خاص، ويحتوى على مائة وتسع وثلاثين ورقة بخط الناسخ مسيعيد بن سريعد بن مسعود السعدى.

٤- «الصيام» .. وهو مجموعة مسائل، وتوجد نسخة منه بمكتبة وزارة التراث القومى والثقافة بعنوان (مسائل فى الصيام) للشيخ الفقيه العالم العلامة أبى نهبان جاعد بن خميس الخروصى بدون ذكر الناسخ، وليس فيه ترقيم.

٥- «جوابات أبي نيهان»، وهو فى سبعة أجزاء وتوجد بوزارة

التراث القومى والثقافة، وقد صنفت كالتالى:

أ- «الطهارات والوضوء».. تحت رقم ١١٩١ عام، ١٠٢ ب
خاص، وتوجد منه نسخ أخرى تحت أرقام أخرى، وعدد أوراق هذا
المجلد ٢٢٥ ورقة بخط الناسخ سالم بن سعيد بن محمد الغيثى،
وتوجد منه نسخ متعددة بمكتبة الوزارة.

ب- «الاعتكاف والنذور»، و«الكفارات وما أشبهها».. تحت
رقم ١١٩٥ عام و ١٠٦ ب خاص، وعدد أوراق هذا الجزء ٢٤١
ورقة بدون ذكر الناسخ، وتوجد منه نسخ أخرى مرقمة أيضاً.

ج- «الميراث».. تحت رقم ١١٩٦ عام، ١٠٧ ب خاص، وعدد
أوراقه، ٢١٢ ورقة ولا يوجد فيه ذكر للناسخ.

د- «النكاح والرهن والمضاربة وغيرها».. تحت رقم ١١٩٤ عام،
١٠٦ ب خاص، وعدد أوراقه ١١٠، وورقات وهذا الجزء ناقص من
نهايته، ولذلك لم نعرف الناسخ.

هـ- «الطلاق وأحكامه».. تحت رقم ١١٩٣ عام، ١٠٤ ب
خاص، وعدد أوراقه ٢٠٨ وورقات، ولم نعرف الناسخ.

و- «الأحكام».. وهو تحت رقم ١١٩٠ عام، ١٠١ ب خاص،

وعدد أوراقه ٢٣٤ ورقة بخط الناسخ سالم بن سعيد بن أحمد الرواحي.

ز- «مسائل متفرقة».. تحت رقم ١١٩٢ عام، ١٠٣ ب خاص، وهذا الجزء ناقص من أوله وآخره؛ ولهذا لم نعرف الناسخ.

٦- «أحكام الزكاة».. وسجل هذا المجلد تحت رقم ١١٩٨ عام، ١٠٩ ب خاص، وعدد أوراقه ٢٠٤ ورقات بخط الناسخ محمد بن علي الغداني.

٧- «كتاب الحج».. وقد تم نشره مصوراً عن طريق مكتبة معالي السيد المستشار محمد بن أحمد البوسعيدى بالسيب، وتداوله الناس، فهو في حكم المطبوع ولكنه غير محقق.

ويظهر لى - والله أعلم - أن هذه المؤلفات موسوعة واحدة متكاملة، وتضم بين جنباتها جوابات الشيخ أبى نبهان، ما عدا كتاب الحج الذى يشعر من لفظه أنه ألفه بنفسه، والذى يرجح هذا الظن خلو هذه المجلدات المسماة بالجوابات من أحكام الصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد؛ ولهذا يمكن أن تكون كتب الصيام والزكاة والحج والمساجد من جملة الجوابات التى رتبها الشيخ محمد بن خميس السيفى من أهل نزوى، عاش فى القرن الثالث عشر الهجرى.

ولكن الشيخ «مehنا بن خلفان الخروصى». وهو من أحفاد الشيخ جاعد - يقول فى مذكرة كتبها عنه: أن له موسوعة خاصة فى فقه العبادات فى خمسة أجزاء من الطهارة إلى الحج، ولعله يشير إلى هذه المجلدات التى أشرت إليها فتكون جواباته فى العبادات داخله ضمن أجزاء العبادات المشار إليها؛ ولكن لا بد أن يخرج منها جزء الطهارات، ويحل محله جزء المساجد؛ لأن الظاهر فيه إنه سؤال وجواب مخلوط مع غيره من أجوبة المشايخ المعاصرين للشيخ أو قبله كبقية الجوابات.. والله أعلم بذلك.

٨- «كتاب المغام فى الخلاص من المظالم».. ولم أعشر عليه إلا أنى وجدت الشيخ مهنا ذكره فى مذكرته، ولعله كتاب الدقائق المشار إليه آنفاً نفسه.

٩- «القضايا فى حل عريض الرصايا».. ولم أعشر عليه، بل ذكره الشيخ المذكور، ولعله داخل فيما رمزت إليه فى (٥: ب)، فإنه يحتوى على الرصايا أيضاً.

١٠- «المسائل المنشورة فى أحكام الفقه» ذكرها الشيخ المذكور أيضاً، ولعلها داخله فيما سبق.

١١- «العدد وأحكامها».. ذكرها الشيخ المذكور، ولم أعشر عليها، ولعلها داخله فيما سبق والله أعلم بها، وهذه الأربعة ذكرها الشيخ مهنا ولم يردّها. قاله أعلم بها.

١٢- «مناسك الحج».. وهى رسالة صغيرة غير الكتاب السابق، وقد نشرتها وزارة التراث القومى والثقافة ضمن سلسلة تراثنا.

وهناك مؤلفات أخرى غير فقهية كما يلى :

١- «المستطاب».. الجزء الأول منه فى أحكام الولاية والبراءة وقراءة القرآن والتعبد وغير ذلك، ويوجد بمكتبة وزارة التراث القومى والثقافة تحت رقم ١٢٠٣ عام، ١١١ ب خاص، ويحتوى على ٢٣٢ ورقة، ولم يذكر ناسخه. أما الجزء الثانى منه فهو الذى فى أحكام المساجد، هكذا فى فهرس مكتبة الوزارة، ولكن ليس فى الكتاب نفسه ما يدل على ذلك.

٢- «موسوعة أصول الدين فى الخلاف والرد على المخالفين».. هكذا ذكر الشيخ مهنا، ولكنى أميل إلى أن هذه الموسوعة هى الجزء المعنون له بمقاليد التنزيل لإدراك حقائق التأويل، لأنه لا يحتوى إلا على تفسير سورة الفاتحة فى اثنتى عشرة صفحة من صفحات الكتاب، أما الباقي فهو فى هذا الموضوع نفسه، وهو جزء كبير فى ٥٨٩ صفحة من القطع الكبير.

٣- «مقاليد التنزيل فى تفسير سورة الفاتحة».. وقد ذكر الشيخ أنه كان عازماً على تفسير القرآن الكريم كله، ولكنه توقف، ولم يذكر الناسخ السبب، بل استمر فى ذكر مسائل فى أصول الدين، ويوجد

بمكتبة وزارة التراث القومي والثقافة ضمن المصورات من غير ترقيم، وهو المشار إليه أعلاه.

٤- «شرح قصيدة حياة المهج في معرفة الله وثورابه للمؤمنين».. وتبين فيها مكانة الشيخ في هذا الجانب. فعلمه ليس منشوراً فحسب، بل هو معلق برب العزة صاحب الملك والملوك والعز والجبروت، وقد رقم تحت ٢٤٢٨ عام بمكتبة المخطوطات من وزارة التراث القومي والثقافة، وله عدة نسخ من عدة ناسخين، أما التي بين أيدينا فناسخها سعيد بن سليمان بن محمد السعدى، وأول هذه القصيدة قوله:

تبين أخى فى الله قولى فلأننى على النصح فى ذات الإله مع العتبى
أما الشرح فقد بين أيضاً مكانة الشيخ فى العربية، وأنه عالم بليغ فيها بلا جدال، فكلامه فيه خير دليل ومثال.

٥- «شرح كتاب الجهالات» - للشيخ أبى عمار عبد الكافى الوارجلانى الجزائرى فى أصول الدين.. ولم أعثر عليه، ولكنى وجدت ذكره فى مذكرة الشيخ مهنا؛ ولعله موجود عنده.

٦- له عدة سير ومكاتبات ونصائح إلى ملوك زمانه وإلى العلماء والأمراء، تشتمل على كثير من الإرشاد والتوجيه والنصائح الدينية والدينية فى السياسة الشرعية الموصلة إلى إعزاز الإسلام، وطلب

العلم - والمحافظة عليه، والاستقامة فى الدين، أو رسالة تسمى «حرز الشجرة» .. كلها دعاء فقط، وإنما ذكرت بعض المؤلفات أو الآثار من باب الاستطراد، وإلا فإتما يهمنى فى دور البحث المختصر انتاجه الفقهي، لمعرفة جهود الشيخ فى ذلك، ولعل هذا الاستطراد يفيد الباحثين فى شىء.

ويذكر الشيخ مهنا أن الشيخ أبان بهان ألف فى علم السلوك والتصوف وعلم أخلاق النفس والصنعة الكيميائية بطرق التكليس والتقطير، وله فى ذلك عدة رسائل كثيرة. وألف فى الفلك والأجرام السماوية، وأسرار الحروف والآيات القرآنية وأنواع رياضاتها وما يتصل بها، ولم نعر على شىء من ذلك، ولكنه غير مستبعد، فهو مشهور بذلك، ومما يدل عليه أن تلميذه الشيخ الغشرى قد نظم قصيدة فى علم الفصول السنوية والكواكب التى تتعاقب عليها وغير ذلك، وهى موجودة بديوانه المطبوع، كما أن الشيخ ناصر كانت له يد طولى فى علم الأسرار وألف فيها عدة رسائل، ولا شك أنه أخذ هذا العلم عن والده - رحمهم الله جميعاً رحمة واسعة -.

وبجانب ما ذكرنا .. فإن فقه الشيخ «جاعد» قد انصهر فى مؤلفات من جاءوا بعده، فقد أخذوا كثيراً عنه، ومنهم العلامة «جميل بن خميس السعدى» فى القاموس، والعلامة «موسى بن عيسى البشرى» فى الخزانة ومكنون الخزانة، والعلامة «السيد مهنا

ابن خلفان البوسعيدى)، والعلامة «سعيد بن خلفان الخليلي» فى التمهيد، والعلامة «نور الدين السالمى» فى المعارج وغيرهم كثير.

المبحث السابع: موقفه من العلم والفتوى:

وإذا كان الشيخ «ابو نيهان» قد بلغ هذه المرتبة من العلم، فينبغى للباحث أن يذكر مكانة العلم عنده وموقفه من الفتوى والتقليد لإبراز أهمية هذا الجانب فى فكر العلامة «أبى نيهان»، ويتضح ذلك فيما يلى:

(أولاً: مكانة العلم:

أ- يرى الشيخ أن كنز الكنوز هو العلم النافع الذى يستضىء صاحبه بنور الله المستمد من معرفته - تعالى -، فالعلماء العاملون هم القدوة، ولا يؤخذ علم الدين إلا من الثقات، وأما غير الثقات فلا يحسن أن يؤخذ منهم علم الشريعة وأصولها، اللهم إلا ما تقوم به الحجة من أى معبر، وخاصة ما لا يسع جهله من أصول الدين^(١).

ويرى الشيخ أن يتعلم الإنسان جميع فنون العلم، فياخذ المتعلم من كل شئ بما تسنح له الفرصة؛ لينبذ الجهل عن نفسه، فالعلم كله شرف ونور، وفنونه كثيرة لا تحصى، ولكن حسب الاستطاعة.

(١) السعدى - قاموس: ٥٣/١.

ويحث الشيخ على طلب العلم لله تعالى دون غيره، لا للمراء
والسمعة، ويقول في هذا الصدد: (الافتعلموا العلم لله تعالى،
وكونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين
والأقربين، ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار، وإياكم والرياء
والمجادلة والمناضلة والمراءات في الدين، فإنها من آفات العلماء
وعلامات العلماء السوء، الذين ليس لهم في الآخرة من المغفرة
والشواب من عند الله حظ ولا نصيب، وفي الرواية عن النبي ﷺ:
«من تعلم العلم ليرأى به الناس فهو في النار»، وقال عليه السلام:
«دع المراءات وإن كنت محققاً، فإن من ترك المراءات بنى الله له قصرًا
في الجنة»، وفي الأثر الصحيح عن أهل العلم: (إن من التواضع ترك
الجدل ولو كنت محققاً)^(١).

ب- ويرى الشيخ أن نور العلم يشع في القلب، ولكن بعد
استعمال الأسباب المؤدية لذلك، كي يستطيع التمييز بين الصحيح
والسقيم، والحق من الباطل في فنون العلم وشتى الأعمال، فاسمع ما
يقول في ذلك: (ومهما شئت ذلك فاعلم أن مبدأ الطريق في تحصيل
ذلك إنما هو بطريق الرياضة في إقامة الظواهر وتصفية السرائر علماً
وعملًا أن ساعد القضاء على ما يحب الله ويرضى، وبعد صفاء
الأحوال، ونصب فخ علم المادة والأعمال، في مقامات الإخلاص

(١) نفس المصدر: ٩/١.

والأنس والرضى والمحبة والذكور وملازمة الفكر، ربما يقع الاقتناص للحقائق فى القلب بواسطة الكشف لأمر خفى، يتجاوز به الملك إلى الملكوت، فيحترق فى سيره الحُجب، ويصل بمن الله المطلب، وتحصل البغية بعد الرؤية لذلك بعين اليقين للعيان؛ لاستنارة القلب بنور الإيمان، ونور السنة ونور العزائم من هنالك ينبع من بينهما... أمور عجيبة وأقوال غريبة، يحار فيها الباب أولى الأبصار، وأرباب المادة والاستبصار؛ لأن فوق كل ذى علم عليهم، فنافس فى مثل هذا يا أخى، وأبذل فيه مجهودك.. وانظر فى كل حادثة محتملة للنظر، أو واقعة اختلف فيها أهل العلم والبصر، إن كان لك قلب تقدر به على تجريد الصفو من الكدر، وإلا فيمن تقدر به عليه، فإن لم يكن فعلى ما تقدر عليه، وخذ من ذلك بأحسنه لله تعالى مخلصاً له الدين، تكن من المحسنين، وتدخل فى غمار الداخلين حتى المدحة التى اقتضتها الآية: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُوتُوا الْأَنْبَابِ﴾^(١) وما التبس عليك من شيء، فكنت فيه على ظلمة الإشكال عن رؤية الصواب، فاقتبس من أنوار علماء الآخرة نوراً، تستضىء به فى ذلك، وإياك والاستشارة فى ذلك لعالم أسكره حب الدنيا، فيقطعك عن محبة الله، أولئك قطاع الطريق على عباد الله المریدین^(٢).

(١) الآية ١٨ سورة الزمر.

(٢) أبو نيهان جاعد - جملات: ٤٣١ - ٤٣٢ وانظر ص ٤٥١ - ٤٥٢.

هذا نص كلامه : وهو دليل واضح على موقفه من العلم وطلبه والعلماء وتقسيمهم، ولا يحتاج الأمر إلى زيادة بيان، وتوجد نصوص أخرى فى صفات علماء الدنيا والتحذير منهم، فراجعه^(١).

ج- كما أن الشيخ يوجب على العلماء إظهار علمهم عند ظهور البدع، وتحريف قواعد الدين، ذباً عن الدين، وتأدية لواجب الدفاع عن الإسلام والمسلمين، حيث يقول : (وإنه لحق على كل ذى علم بالحق مع الطاقة له على إظهاره إذا ظهرت البدع والضلالات والشنع أن ينشر علمه؛ لتنجلى الظلمة، وتنكشف الغمة، فتكون كلمة الذين كفروا السفلى، وكلمة الله هى العليا، وإن لم يفعل ذلك فيدفع ويرفع فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمع، ولا يقبل منه صرف ولا عدل، إلا أن يكون على تقية فى الأصل، أو وجه يوجب له فى الحق عذراً يوماً ما؛ لأن عليه حال وجود القدرة له مع الإمامة على سبيل الاستقامة الذبّ عن الدين عن تأويل الجاهلين، وتحريف الغالين، وانتحال المبطلين فى أحكام دين المسلمين، وكلاية الشرعة عن تشويش المبتدعة، مع خوف التزلزل بالبدعة وأنواع الضلالة لإقدام العامة، الذين كلّت أبصارهم عن رؤية الحق فى ذلك، ولم يكن لهم قدم راسخ فى قواعد الإسلام، ولا أصل ثابت فى معرفة الأديان والاحكام)^(٢).

(١) راجع هذا النص بكامله فى المرجع السابق: ٤٢١ - ٤٢٢، وانظر ص ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٩.

(٢) أبونبهان جاعد - جوابات: ٤٣٠.

وقد قام الشيخ فى هذا الجانب بواجبه الشرعى، فاجتهد وأصاب، وذبح عن الدين وأمان البدع، وجاء بالحق، ولم يخش عدل العاذلين، ولا لوم اللائمين، فلا يترك الفرصة حين يراها عن تقديم المشورة والنصيحة والحث على طلب العلم والبعد عن الجهل والتقليد، وتحذير الناس من البدع - رحمه الله ورضى عنه - ولا يتعفف عن سؤال أى أحد عن العلم^(١).

وقد اخذ الشيخ من فثون العلم ما شاء الله من المنطق^(٢)، والحساب، واللغة العربية نحواً وصرفاً وبلاغة وشعراً - إذ هو شاعر بليغ وناطق أديب -^(٣)، وعلوم الشريعة تفسيراً وحديثاً وفقهاً، وحاز فى علم السلوك مرتبة كبرى، إذ يكاد الوحيد بين من كان قبله ومن جاء بعده^(٤).

ثانياً: موقفه من الفتوى :

أ- لا يحب الشيخ أن يتصدر للفتوى إلا من بلغ رتبة الاجتهاد، ولم يعجب برأيه ولا يأنف من قبول الحق ممن جاء به، ولا نصب رأى ديناً والعكس، فقال فى معرض رده على بعض من ضيق على

(١) كان يسأل حتى غير الإباضية : ابن نهان حاعد - جوابات : ٤٢٢ .

(٢) للصدر نفسه : ٤٨ ، ٤٨٨ .

(٣) له قصائد عديدة . انظر حياة المهج وشرحها .

(٤) انظر شرح حياة المهج .

الناس الجائز بجهل منه ما نصه : (وإنما العيب على من خالف الأصول، وصدف عن ملة الرسول، أو نصّب الرأى ديناً، أو تكلم مينا، وتكلف القول فى العلم جهالة، وعاش فى الناس على ضلالة، وعاب على الناس سلوك سبيل الجائز، وضيق فى الرأى عليهم الراسع، وحملهم على رايه فى الرأى، أو رأى من رأى رأيه من الرأى، فى غير موضع الأحكام وفصل القضاء بين الأنام، ولقد قيل فى الصحيح : (ليس العالم من حمل الناس على ورعه، إنما العالم من افتاهم بما يسمعون من الحق). ولقد قال الشيخ « أبو سعيد » - رحمه الله - فى حق السائل على المسؤول عن المسألة التى لها وجهان : إن يخبره بين الوجهين جميعاً فى التعارف والحكم، ليدخل عليه الفرع من وجهه، والضيق من وجهه؛ ليطلب الآخر لنفسه السلامة انتهى . وكذلك كان الشيخ « محمد بن محبوب » - رحمه الله - إذا سئل عن شىء فيضيق فيه ليأمر السائل له أن يسأل القاضى لعله أن يرى غير ما رأى فيوسع ما ضيق فى ذلك، فيدخل الفرع على الناس، ويطلب كل مرید منهم باب المخرج إلى السلامة لنفسه؛ وهذا لمن أوضح دليل فى أوصافه على تجرده من العجب برأيه لإنصافه فى ذلك من نفسه، وإنصافه دال على صفاء باله وحسن أحواله، وكذلك لكل من أراد الله تعالى والدار الآخرة بعلمه، ينبغى فى هذا له أن يكون، لكنه قد أخذ الأكثر من الناس فى الانعكاس فى هذا والانتكاس على أم الرأى، الا ترى أنك

تلقى الواحد من المتسمين بالعلم فتجده المعجب برأيه . . يقول : أنا
أنا . . وليس هو من ذلك فى شئ! والمعجب لا يكاد ينجع فيه العلاج
فببراً؛ لعظيم الداء وعزة الدواء، إلا أن يتداركه الله فى أمره بلطف
خفى^(١).

ب- والشيخ ليس ممن يعجب برأيه، بل يظهر القول بالضيق
والقول بالسعة، ويفصل فى الجواب فى كثير من الأحيان إلى حد
الإسهاب، ولكن ذلك الإسهاب فيه مزيد علم وبحث وتحصيل
واستدلال، وليس ثرثرة كلام، وذلك عند الحاجة إليه. وانظر ما قاله
فى هذا الموضوع: (وقد آل بنا الشرح إلى الإسهاب فى القول على
هذه المسألة حرصاً منا على هذا المبتلى من ظلم ظلمه، وفكه من
أسرما دخل فيه على جهله بجهله، عسى أن يكون لنا فى إعانته على
ما رامه من هدايته موضع قربه، فإن للضعيف بجوابه فى قربه من ربه
شدة أربه، وقد أبدى له فى قوله ما لا يكاد يخفى فى هذا عليه أمره
معه، تارة بالضيق وأخرى بالسعة، ومراده بذلك أن يكون فيهما ناظراً
لنفسه).

وقال: (فانظر فى هذا كله من جوابى فإن فيه زيادة، أهديناكها
على وجه التطوع إليك سؤالاً وجواباً). وقوله: (وإنما زدناه من عندنا،

(١) جوابات أبى نيهان جاعد، ٤٢٩ - ٤٣٠ وانظر ص ١٨٠.

وذكرنا رضى البالغ وإن لم نذكره لتعمام الفائدة، فإن البلية بمثل هذا غير قليلة فى أهل زمانك). وقوله: (فانظر كيف فرقنا سؤالك فى إصلاحه ليكون مع كل شىء جوابه، فجعلناه مثلاً مع كل شىء جوابه، فجعلناه مثلاً لعسى إن اتخذته فيما بعد سؤالاً زدنا فيه ما لم تسأل عنه كذلك^(١))، بل يأمر السائل أن ينظر فى الجواب بعين البصيرة، ويشاور فيه أهل البصر، ولا يأخذ منه إلا ما وافق الحق والصواب، وأن يردده إن ظهر أنه باطل فلا يجوز القول بغير الحق. مثل قوله: (فانظر فى ذلك ولا تأخذ به ولا بشىء منه إلا ما وافق الحق^(٢))، فانظر فى هذا كله ثم لا تعمل إلا بصوابه، فإن غير الحق لا يجوز قطعاً^(٣)). وقوله: (فاقبل ما وافق الحق ودع ما سواه)^(٤). وقوله: (فانظر فى هذا كله ولا تقبل منه إلا العدل)^(٥). وقوله: (فخذ ما وافق الحق ودع ما سواه^(٦))^(٧).

(١) أبونبهان جاعد - الجوابات - ١١٥، ٧١٧.

(٢) نفس المصدر: ١٩٠، ١٩٢، ٢٧١، ٣٩٧، ٤٢٢، ٤١٦، ٢٧٣، ٥٣٩، ٥٦٧، ٢٧٦.

(٣) نفس المصدر: ١٨٠.

(٤) نفس المصدر: ١٨٧.

(٥) نفس المصدر: ١٨٢.

(٦) نفس المصدر: ١٩٢.

• ورفع عنه الشيخ ناصر بن أبى نيهان قوله: (تعرف قوة العالم فى علمه بكثرة الشروط فى الجواب، فإنه يدل على أن ينظر وجوهاً لا تدخل فى ذلك اللفظ) هـ قاموس الشريعة:

وغير هذا الكثير... وإنما اتينا ببعض الأمثلة؛ لتعرف طريقة الشيخ في اتهام نفسه دائماً في إصابة الحق، وهذه طريقة علماء الآخرة الذين لا يلزمون الناس بقولهم، ويدعون الحق في مقالهم، بل يتركون للناس الخيار، ومن أراد الأحوط نظر لنفسه الأخذ بالأسد خروجاً من الخلاف^(١).

جـ- وعندما تحين الفرصة لتذكير السائل بالله وبالآخرة؛ لأجل الخروج من مازق الضلال والأيوة إلى المولى - ذى الجلال - يفتنهما الشيخ أبو نيهان، فيبطل في موعظة السائل إلى درجة كبيرة، فلا تكاد إلا كأنك تقرأ خطبة بليغة لصلاة العيد أو يوم عرفة، وقد تكرر ذلك في كثير من جواباته وخاصة في مسائل التوبة من المظالم؛ لأجل التنفير من ذلك المازق، والرجوع إلى المولى - عز وجل - عن التعامل مع الجبابة في الأموال^(٢).

د- كان الشيخ يكتب إجاباته بيده برغم كثرة أشغاله ومطالعته، ولا يرد السائل، ولو كان به أشد الأحوال، وقد وقفت على قصة وفاة ولد له، يذكر ذلك في جوابه للسائل ولكن خوف القطيعة والهجران للسائل أجابه رغم تلك الحال التي فيها، وهو يذكر أن الحزن والألم

(١) أبو نيهان جاسد - الجوابات: ص ٥٩، ٧٧، ٨٤، ٩٦، ٩٨، ١٤٢، ١٤٨، ١٦٦،

٦٧٣، ٩١٣، ٣٧٢، ٧٨١، ٦٨١، ٨٥١، ٣٢١، ٢٢١، ٥١١، ٣٠١، ١٠١، ٧٧١،

٣٩٧، ٥٧٦، ٥١٠.

(٢) نفس المصدر: ١٩، ٢٠٣، ٢٧١، ٣٢٩، ٣٣٢، ٥٤٨، ٥٥١.

قطع كبده على فراق ولده يكاد ينفطر به قلبه، ولكنه يسلى نفسه باليقين بالله، وإن كل إنسان يصير إلى ذلك المصير، وينقلب إلى ذلك المنقلب، ولكن رغم ذلك يكتب تلك الأجوبة الطوال بخط يده، مما يدل على قوة جلده وسعة صدره، وكثرة تحمله فى سبيل العلم، برغم صغر السؤال، ونكن الجواب عليه صفحات عديدة، يكاد يملأها القارئ وهو يكتبها بيده، فله دره من عالم فرغ نفسه للعلم^(١).

هـ كانت ترد للشيخ أسئلة من الآفاق، بجانب كونه مفتياً عاماً لعمان مما يدل على شهرته وذيع صيته، فقد وقفت على جواب منه لأحد المغاربة، ولكن لم يوضح اسمه، ولا أدري أهو من ليبيا أم من الجزائر أم من تونس، ولكن ذكر أنه من المغرب، الذى يطلق عليه اليوم (شمال إفريقيا)^(٢)، وهذه عادة اتباعها علماءنا سواء من المشرق أم من المغرب إلى يوم الناس هذا. كما وقفت على جواب طويل منه لبعض الأمراء النجديين يسمى محمد بن مقرن النجدي عن سؤال يدعو فيه الشيخ إلى الدخول فى مذهب الوهابيين، ويظهر من فحوى الجواب أن السائل يذكر له.. أن كثيراً من العمانيين قد اعتنق هذا المذهب. فرد الشيخ على المبادئ التى ذكرها، ولم يتعرض للإطالة فى

(١) نفس المصدر: ص ١٤، ١١٥، ١١٦، ٤٢٢، ٤٥٢.

(٢) نفس المصدر: ص ١٦٧ وما بعدها.

الموضوع الآخر، ويوجد عنه جواب طويل رد فيه على من سأل على مذهب محمد بن عبد الوهاب حين وجه كتاباً إلى الشيخ ولم يذكر اسمه في الكتاب. فرد الشيخ مفنداً مبادئ صاحب هذا المذهب وبين عوارها، وطلب منه الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله وعمل الصحابة في حروب الجمل وصفين وغيرها وإلى آثار السلف الصالح من أهل الاستقامة في الدين، وألا يكونوا كابن الأزرق وأصحابه حين استحلوا الدماء والأموال والفروج بتشريكهم أهل القبلة المقربين بالترديد، ثم وجه نصيحة له بالألا يسمع جهال الإباضية وعوامهم فيما يفترونه على الإباضية وألا يغروهم بالدخول في بدعتهم، ثم وجه نصيحة لأهل عمان عن مثل هذه الفتن والأهواء التي جاءت في هذه الرسالة وأمثالها^(١).

و - الشيخ في جواباته يحث على اتباع السلف ما أمكن، وألا يحيد عنه المتعلم وخاصة غير القادر على الاجتهاد، بل يحث على اتباع جهايزة المشايخ العمانيين أمثال محمد بن محبوب وأبي سعيد الكدسي وأبي علي موسى بن علي وأبي المؤثر وأبي قحطان وغيرهم من كبار العلماء^(٢).

(١) توجد هذه الرسائل في مكتبة المخطوطات بوزارة التراث القومي والثقافة تحت مسمى سيرة أبي نيهان.

(٢) أبو نيهان جاعد - جوامع: ٥٩، ٢٧١، ٤٢٤، ٤٥١، ٥٩٨، ٦٠٠ وغيرها.

ز - يتخرج الشيخ كثيراً في أمر الفتوى والإقدام إليها بغير علم في مسائل الفروج، وكأنني به يذهب مذهب الإمام أبي عبيدة في ذلك، وقد ائرت عنه مقالة عندما قيل له إن أهل عمان يفتون بالرأى . فقال: (ما سلموا من الدماء والفروج، فهنا يقول الشيخ « أبو نيهان » عندما تكلم على مسألة زواج الصبية أن الأكثر من الأقدمين يذهبون إلى أن لها الخيار، وفصل هذه المسألة وتوسع فيها . وبعد ذلك قال:) ونحب لمن استنصحننا وأحب أن ينصح نفسه أن يأخذ في جميع أموره بالوثيقة ما قدر لا سيما في الفروج، وأن يتبع في ذلك بالحلال الصريف العارى من الاختلاف، وأن توسع في ذلك بغير ذلك من الجائزات، ولم يخرج من صحيح آراء المسلمين لم نشرع إليه بالتخطئة، تعنيفاً . والقول في تفريع فصول أصول جمل هذه المسألة يتسع، وأرجو أن في هذا ما يأتى على جميع مسألتك، فلا تسألنى عن شيء فإننى لا أجيبك بعدها، لأننى لا أحب أن أفتح هذا الباب على نفسى ما وجدت إلى ذلك سبيلاً، إلا أن يشاء الله ربى وسع ربى كل شيء علماً، لأننى ضعيف العلم قليل الفهم، وفى المناظرات دقائق آفات موبقات، قل أن يسلم منها سائل أو مجيب، إذ لا يسلم منها إلا أولو الألباب، وقليل ما هم^(١) .

(١) نفس المصدر: ٤٢١، ٤٢٥، ٤٩١ .

ي- التقليد بغير دليل:

لا يرى الشيخ «أبو نيهان» التقليد للعلماء من العلماء المجتهدين، بل يشجع على الاجتهاد. فليس هو من يقول بغلق باب الاجتهاد، وإليك أيضاً مما قاله في هذا الموضوع:

(فانظر يا أخى فى هذا وأخذ بالحق فى كل حال، وجانب كل رأى قال: وإياك والنظر إلى من قال ولكن إلى ما قال، والحذر الحذر كل الحذر من التقليد فى الدين لأحد من البشر كائناً ما كان وكائناً ممن كان من أهل العلم من المسلمين، ولو كان فى الفضل والكمال كابى بكر وعمر بن الخطاب - رضى الله عنهما - أو كان فى العلم كابن عباس وجابر بن زيد - رحمهما الله - وبلغ فى ضروب علم الشريعة بلاغة الشيخ أبى - سعيد رحمه الله -^(١)).

وقال: (ولم يكن فى الدين تقليد فى الحق لغير نبى، أو لكتاب نزل على نبى لم ينسخ)^(٢). فالشيخ لا يحب التقليد للمجتهد بل يأمره بالنظر والاجتهاد، وقد حث على ذلك فى أكثر من موضع^(٣).

هذا وبعدما أشرنا إشارات عابرة على حياة الشيخ ومكانته العلمية، فمن الجدير بالقول بيان المنهج الذى اتبعه الشيخ فى مسائل

(١) نفس المصدر: ٤٣٩.

(٢) نفس المصدر: ٤٣٦.

(٣) نفس المصدر: ١٨٠، ٢٠٦، ١٨٧، ٢٧١، ٤٢٠، ٤٢٣، ٤٢٨، ٤٢٩.

الفقه، ومدى اخذه بأصول التشريع، لأن ذلك يعطى القارئ نبذة
عن موقف الشيخ منها، ومدى التمسك بها، وسأجعل ذلك فى فصل
مستقل كما يلى .

الفصل الثانى

منهج الشيخ أبى نبهان الفقهى

هذا الفصل يشتمل على تسعة مباحث وخاتمة:

المبحث الاول: تعامله مع الكتاب العزيز.

المبحث الثانى: تعامله مع السنة.

المبحث الثالث: تعامله مع الإجماع.

المبحث الرابع: موقفه من القياس.

المبحث الخامس: رأيه فى الاجتهاد.

المبحث السادس: أخذه بالأدلة الأخرى.

المبحث السابع: أخذه بالقواعد الفقهية.

الأخذ بالرخصة عند أبى نبهان

مصطلحات فقهية فى الجوابات.

المبحث الثامن: إسهاماته الأدبية.

المبحث التاسع: وفاته وراثته.

المبحث الاول: تعامله مع الكتاب العزيز:

(ولا: احتجاجة به :

لا يختلف موقف «أبى نبهان» عن موقف غيره من العلماء

العاملين بكتاب الله من جهابذة العلماء فى شأن الاستدلال بكتاب الله العزيز، فهو يرى التمسك بما جاء فيه، ويعتبره الأصل الأول للتشريع الإسلامى، فهو يقول بما معناه: (إن الله عز وجل أنزل القرآن على عبده بواسطة الملك الأمين جبريل مصداقاً لما بين يديه من التوراة والإنجيل مبشراً ونذيراً، ولهداية البشر إلى سواء السبيل، وإن الله أنزله فأخرجه من عالم الغيب إلى عالم الشهادة، ولم يصرح بأنه مخلوق أم لا، ولكن ظاهر كلامه يدل على ذلك، وقرر أن القرآن كامل لا يأتى عليه النقص والخلل، ولا يعتزى قارئه السآمة والملل، فهو معجز بأسلوبه والفاظه ومعانيه وغوامض مبانيه.. ثم يقول: (على أنه فى تأليف كلامه وعجيب نظامه لغزابة تراكيب الفاظه العجيبة، وعدم تنامى معانيه الغريبة مع شدة إيجازه... فتحدى لذلك جميع العالمين أن يأتوا بمثله أو سورة فى صورة شكله وأعلن عن عجزهم ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً^(١)).

كما قال فى موضع آخر: وكلام ذى الطول محكم القول لفظاً ومعنى، عارٍ من التناقض والتضاد (ليس فيه خلل فى شىء ولا زلل)^(٢).

(١) أبو نيهان جاعد: مقدمة سرور الفاتحة ص ١، أبو نيهان جاعد، جوابات: ٥١٠،

٥٦١.

(٢) أبو نيهان جاعد، الجوابات: ص ٤٥، وانظر السعدى قاموس ١/ ٧٣.

كما ألح الشيخ على أن الصواب ما وافق الكتاب العزيز قولاً وعملاً ونية، وقال: (واعلم أنه لا يصاب العدل في الرأي ولا في شيء بالدين على مخالفة الثابت من حكم الكتاب أو السنة أو الإجماع)^(١)، وأن الأخذ بالمحكم واجب والإيمان بالمحكم والمتشابه واجب، والأخذ بالناسخ واجب أيضاً، والإيمان به والمنسوخ واجب، وأن الكتاب ينسخ بعضه بعضاً^(٢). والقرآن عند «أبي نيهان» ناسخ للكتب السابقة، فهو المصدق لها، والمهيمن عليها، وما فيه من الأحكام يجب الأخذ به. ولنسمع إلى ما قاله في هذا الموضوع: (إذ قد جعله الناسخ لجميع ما تقدمه من الشرائع التي في الكتب المنزلة على الأنبياء المرسله، وبه الكفاية عنها، فلا يحتاج إلى شيء منها، فهو المصدق لها، والداعى إلى الإيمان بها)^(٣).

ثانياً: الفاظه وكتابته:

وكتابة القرآن عند «أبي نيهان» بغير العربية لا تجوز. حيث يقول: (والقرآن بغيرها لا يجوز لأن الشارع قد خصهما^(٤) بالفاظ لا يجوز لأحد أن يعدل عنها إلى غيرها)^(٥).

(١) أبو نيهان جاعد، المجموعات: ص ٤٢٧.

(٢) المصدر السابق: ١٤، ٥٠، ٩١، ٩٢، ٢٠٥، ٢٠٦، ٣٢٦، ٣٩٧، ٤٢١، ٤٧٤.

٤٧٥، ٤٩٥، ٥٠٩، ٥١٠، ٥٩٠، ٥٩١.

(٣) نفس المصدر السابق ص ٥٠.

(٤) أي الصلاة والقرآن.

(٥) نفس المصدر: ص ٤٥.

ولكنه جواز أن يفسر القرآن بلغات أخرى، وذلك لأن الفهم
للتنزيل قدر مشترك بين الأمم، فكل قوم أدري بمعاني لغتهم. حيث
يقول: (ولا خلاف في الترجمة؛ لأنها مجزية^(١)) في كلمة، وإن
كانت بلغة أخرى، فهي به أخرى لأنها له أدري فيما به يؤمر أو ينهى،
وجميع ما إليه بالقول ينهى، حتى فيما لا يفهمه من التنزيل، لأنها
من صحيح التأويل، من متفق عليه أو مختلف فيه، بأى لغة عبّر عنه
المعنى الذى به فسر^(٢).

وسئل الشيخ «أبو نيهان» عن اشتقاق اسم القرآن، فاجاب: (قد
قليل لافتراق حروفه وآياته وسوره. وقال: سألت رجلاً من قومنا عن
اشتقاق اسم القرآن فقال: لاجتماعه وائتلافه، وسمى تجمع الدم فى
رحم المرأة فرق^(٣) لتجمعه من الحيضة إلى الحيضة)^(٤).

ويرغب الشيخ «أبو نيهان» فى تلاوته بالتجويد فر حيث إن
التلاوة به متروكة فهو يقول: (وقراءة القرآن على ما يقرأه أهل هذا
الزمان من المعربين المجتهدين غندى جائز؛ لأن قراءة التجويد متروكة

(١) معنى ترجمة المعانى لدلالة ما بعد ذلك عليه.

(٢) نفس المصدر: ص ٤٧ لكن جاء فى موضع آخر موافقته للشيخين سعيد بن بشر
الصبحي وناصر بن خميس الحمراشدى حيث قالاً بجواز ترجمة القرآن بغير العربية..
حيث قال: (وبه أقول وإذا جاز به الفهم العربى جاز بغيره من كل قلم) انظر نفس
المصدر: ص ٦٢.

(٣) لعل الصواب: ٥.

(٤) للمصدر نفسه: ص ٤٢٢.

من عهد طويل .. وعلى كل أن يجتهد فى تجويد القرآن وتحسين القراءة له^(١).

ويقسم الشيخ الآيات التى يقرأ بها القرآن عند التلاوة إلى :
صواب لفظ، أو احكام قراءة، وبيان حروف .. حيث قال ما نصه :
(فاما القسم المتعلق باللفظ نحو .. الإعراب والوقف والتغليظ والترقيق والإظهار والإدغام والإمالة والموصول والمفصول، والفرق بين الحروف المجهورة والمهموسة، والحلقية والقمية، والشفهية والهوائية المتصلة بالقم، وإخراج كل حرف من الحروف من مخرجه، وما اختلف أو اختلف فيه القراء السبعة فى القراءات، وهذا النمط منوط بالقرآن والقرآن به اخص)^(٢).

وعند الشيخ أبى نبهان أن دراسة العلم النافع للأمة افضل من حفظ القرآن، وهو يؤول الوعيد الوارد فى الحديث، لمن تعلم القرآن ثم نسيه على من نسى القرآن كله، حتى لم يبق معه ما يؤدى به الصلاة، يحكى عنه ذلك ابنه الشيخ ناصر بن أبى نبهان .. حيث يقول :

(وقد تعلمت القرآن كله حفظاً بالتلاوة له فى شهر، ولا اتمحفظ فيه فى كل يوم إلا منذ أصلى الصبح وحتى طلوع الشمس، فلما تم

(١) المصدر نفسه : ص ٢١٤ .

(٢) الشيخ جميل السعدى - قاموس الشريعة : ١ / ٧٢ .

وذهبت مع والدي، لم أستطع أن أقرأه سرّاً؛ لأنني لم أتمكن من حفظه، ولا يرضى لي بالجهر لئلا أشغله عن التفكير فيما يفكر فيه، وأظهر لي في وجهه الكراهية باشتغالي بقراءات القرآن عن التحفظ بما أقرأه من الأثر، فتابعته على ما تهواه نفسه لي فنسيته جميعاً، وأظن أنني أخبرته بذلك، فذكر لي كما ذكرته في التأويلين لما روى عنه عليه السلام، واستحسن في ذلك الذي استحسنته، وبالله التوفيق ^(١).

ثالثاً - تفصيل معانيه :

أما بيان معاني ما جاء في الكتاب العزيز من حيث تراكيب لفظه، فقد بينه «أبو نيهان» فيما نقله عنه صاحب القاموس، وذلك بأن القرآن مشتمل على أمور، أخبار وأمثال، وأمر ونهي، وما يسع من الأحكام وما لا يسع، وخاص وعام، ومجمل ومفصل، ومبين ومجمل، ونص وظاهر، ومطلق ومقيّد، وحقيقة ومجاز، وظاهر وباطن، ومحكم ومتشابه، وناسخ ومنسوخ، وما أشبه به ذلك من المعاني التي يستنبطها أولو العلم الراسخون فيه ^(٢).

وعلى هذا فالأصل الأول عنده هو القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، وهو

(١) السعدى - قاموس الشريعة: ٣/٣٠٥.

(٢) المصدر نفسه: ج ١/٧٢ - ٧٣.

الواجب الاتباع، فمن تمسك به سلك الطريق السوى، ومن أتى شيئاً يخالفه تنكب الجادة وهوى إلى أردى السبل، وكل ما يأتیه الإنسان وما يذره فلا بد من عرضه أولاً على ما جاء فى أصول الشرع؛ لئلا يزيغ عن الطريق المستقيم، فما نص عليه فى هذه الأصول أتاه، أو توافق مع هديها العام اخذ به، وإلا فلا.

وأما موقفه من السنة المطهرة فسوف أوجزه فيما يلى:

المبحث الثانى: تعامله مع السنة:

أولاً: الاحتجاج بالسنة:

الأصل الثانى: من أصول التشريع عند «أبى نيهان» هو السنة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام^(١)، الذى يقول فيه «أبو نيهان» بما معناه: أنه النبى والرسول الأمى هادى الأمة ونبى الرحمة، الذى أدار الله بجوده هالة هلالى وجوده فى قبة سماء بهجة الدين من حيث إنه جعله فى الناس قمراً وسراجاً منيراً^(٢).

وقال: (واعلم أنه لا يصاب العذل فى رأى ولا فى شىء من الدين على مخالفة الثابت من الكتاب أو السنة أو الاجماع)^(٣).

(١) أبو نيهان جاعد - نفس المصدر: ص ٥١، ٩١، ٩٢، ١٦٨، ١٩٤، ٣٢٦، ٣٩٧، ٤٣٠، ٤٩١.

(٢) أبو نيهان - مقدمة تفسير سورة الفاتحة ص ١.

(٣) جوابات: ٤٢٧.

وقال: ودليله فى قول ربكم وسنة نبيكم وكفى بهما هادياً لمن اتبعهما فى سلوكه إلى ربه بعد المعرفة منه لتأويلهما^(١)، فلا تسع مخالفة الكتاب والسنة إياً كان من الناس إذا ورد فى تلك الحادثة نص من الأصول الثلاثة، فكل أمر مخالف لها مردود على صاحبه، فهو فى ذلك يقول مستدلاً على إبطال تزويج المطلقة ثلاثاً من صبي أو محرم أو غيرهما.. هل يحللها للأول أم لا؟ فقال: (ولا خلاف فى أنه كل ما خالف الكتاب أو السنة أو الإجماع من تأسيس ذلك التزويج بها على من لا يسعه فى الحق تزويجها، ولا يحل لها بالنص نكاحه؛ لكونه ذا محرم فى الأصل، أو أنها محرمة عليه.. على خلاف الحق بأجمعه... لأنه واقع فى الأصل على غير أساس راسخ فى الحق... وإذا فسد الأساس تلاشى فرعه المبنى عليه)^(٢).

وفى موضع آخر يقول: (وإنما العيب على من خالف الأصول، وصدف عن ملة الرسول)^(٣). وقال: (لأن الدين ما جاء فى السنة أو الكتاب أو الإجماع حكمه، والرأى ما كان فرعاً لهذه القواعد الثلاث من الدين، فإنها الأصول، وما أشبه الأصول فهو مثلها)^(٤).

وقال: (والحق فى الحقيقة فى الباطن هو الحق الذى أظهره فى

(١) أبو نيهان - رسالته إلى النجدي ص ٢.

(٢) نفس المصدر - جوابات: ٣٩٧ - ٣٩٨ وتظهر ٤٢١ - ٤٢٢.

(٣) نفس المصدر: ص ٤٢٩.

(٤) نفس المصدر: ص ٤٧٥.

الظاهر لعباده على لسان نبيه فى كتابه وسنة رسوله - عليه السلام -
واجماع الامة لا غيره لا يختلف بإجماع، ولو كثر الاختلاف
والنزاع^(١).

وعندما تحدث عن العدل بين الناس ذكر أنه هو أن يسير الحاكم
على ما يوافق الكتاب والسنة والاجماع والصواب من الراى^(٢)، وما
كان منه غير ذلك فليس بعدل، فترى أن اتباع السنة عنده هو العدل
الذى لا مرية فيه، لأن سنة النبى ﷺ هى المصباح الذى تهتدى به
هذه الامة، إذ لا ينطق عن الهوى، فكل ما يأتية وما يذره إنما هو
مطابق لكتاب الله العزيز، الذى لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من
خلفه، وهى الترجمان للقرآن قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ
لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾^(٣).

وينبغى أن تعرض الأعمال على مقتضى كتاب الله وسنة
رسوله ﷺ والاجماع؛ لئلا يقع الإنسان فى محذور، حتى انه يبحث
السائل على عرض أجوبته فى المسائل الفقهية على هذه الأصول،
خوفاً من مخالفة الحق، فقد جاء فى بعض جواباته ما نصه:

(١) أبو نيهان - جوابات: ٤٩٤ - ٤٩٥.

(٢) أبو نيهان - نفس المصدر: ٥٦١.

(٣) آية ٤٤ سورة النحل - وانظر نفس المصدر الجوابات: ٤٠.

(وما أشكل عليه فيه من شيء فقف عنه، والتمس عدله إن اضطربت إليه وأردت العمل به من كتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأمة أو رأى أهل العدل من الفرقة المحقة لعلك أن تصيب القصد، وتهدى فيه إلى الرشد، ويرتفع منك عن بصيرتك الحجاب، فتراه على ما هو عليه من خطأ أو صواب) (١).

ثانياً: (أما من حيث مكانتها،

فإن السنة عند «أبي نيهان» يستحيل فيها ثلاثة أمور.. الأول: الغلط فيها؛ لأنها صادرة من المعصوم ﷺ (٢)، وأما النسيان فيطراً عليه لأنه ﷺ بشر، ولكنه مع ذلك يعتقد أبو نيهان أن صاحب الرسالة المحمدية في كمال بشرى لا يساويه فيه أحد، ولنسمع إلى مقالته في ذلك: (بدليل ما في الحديث، يروى عن النبي ﷺ إنه في صلاة الظهر سها حتى زاد فيها ركعة، ومرة صلى بأصحابه فقام عن ركعتين ولم يقعد لهما، وإذا كان هذا مما يجري عليه من كماله فيكون منه في نوازل أحواله، فكيف بغيره؛ أظن أحد أن يلحق به في حضوره، وأن صفى باطنه لإشراق نوره؟ كلا.. إنه لفى غاية البعد أن

(١) أبو نيهان - نفس المصدر: ص ٦٠٠.

(٢) السعدى - قاموس الشريعة ٧٣/١ (وفعل النبي - عليه الصلاة والسلام - عند أبي نيهان يقتضى الإباحة باستفراق الجنس في الكل من الأمة عموماً، إذ لم تثبت معه قرينة التخصيص في ذلك للملوجة لإفراذه به أو لاحقة أو مقدمة، والأمة داخله معه فيما لم يصح أنه مخصص به) - جوابات: ٤٢٤.

يكون مثله عبد، فإن جميع ما عداه لابد وإن يكون فى كل أمر واه، فضلاً أن يساويه، فأنى بتقدمه فيتعداه^(١).

الثانى: الغلط فى أحكامها؛ لأنها وحى رسالة، وقد أوضح «أبو نيهان» لمن سألته أن الوحى ثلاثة أقسام.. الأول: وحى رسالة وهو للأنبياء فقط. والثانى: وحى إلهام وهو لمن يشاء الله من الأولياء. والثالث: الإيحاء وهو للخلق كلهم يعنى الإشارة، فالنبي وإن سها لكنه يرجع إلى الصحيح فوراً مثل ما وقع له فى الصلاة؛ لأن النبى ﷺ قد حرس بالوحى فى أمره فأيد بالتنزيل وعضد بجبريل^(٢).

الثالث: تسويغ إباحة العمل على خلافها أو الحكم بخلافها، فهذا مما لا يجوز شرعاً^(٣)؛ لأنها توحى من الله. قاله - عز وجل - يقول عن نبيه الكريم ﷺ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٤). وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٥). فلا يجوز إن يحكم أحد، أو يفتى بغير ما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله وإجماع المهتدين من هذه الأمة.

فعلى المسلم فى نظر «أبى نيهان» أن يمثل للأمر والنهى الثابتين

(١) جوابات: ١٦٦.

(٢) انظر جوابات: ١٦١، وانظر جوابات: ٤٢٣.

(٣) قاموس الشريعة: ٧٣/١.

(٤) الأيتان: ٣ و ٤ من سورة النجم.

(٥) الآية ٦٤ سورة النساء.

من السنة النبوية^(١)، قاله - عز وجل - يقول: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٢). وقال: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾^(٣).

ومعاني السنة النبوية مختلفة، فبجانب ما فيها من الأوامر والنواهي يشتمل على المندوب إليه، والمجبر فيه، والمباح، وما يسهه جهله، وما لا يسع من الأحكام، وفيها الخاص والعام، والمجمل والمفصل، والمبين والمحمّل، والنص والظاهر، والمطلق والمقيد بالكتاب والإضمار والحقيقة والمجاز، والظاهر والباطن، والناسخ والمنسوخ^(٤).

ثالثاً: الرواية:

وكثيراً ما يرد في كلام الشيخ الثابت من السنة، أو السنة الثابتة، أو ما ثبت من السنة، أو الحديث الصحيح، أو السنة الصحيحة، وذلك دليل واضح على أن الشيخ «أبا نيهان» لا يأخذ إلا بالسنة الثابتة بالرواية الصحيحة بأقسامها، وهي الواردة برواية الشقات، وينبئ ذلك أن السنة المروية من طرق ضعيفة لا يعتد بها. وقد جاء في معرض نصيحة له ما نصه: (ودلوكم على الحجة البيضاء التي

(١) السعدى - قاموس ١/ ٧٣.

(٢) الآية ٧ من سورة الحشر.

(٣) الآية ٩٢ من سورة المائدة.

(٤) قاموس الشريعة: ١/ ٧٣.

كان عليها سيد الانبياء، فعفر فركم ما تاتونه فرضاً ونقلاً، وما تذكرونه نية وقولاً وفعلًا... أولئك هم اولو الالباب، الذين هداهم الله لدينه الذى ارتضاه الله لعباده من فضله، فلم يغيروه عن أصله، بل ابتغوا فيه اثر النبى - عليه السلام -، ومن بعده أبو بكر وعمر وغيرهما من الصحابة والتابعين بدعوة الانام^(١).

وبجانب الاصلين السابقين الكتاب والسنة يتمسك الشيخ «أبو نبهان»، بالإجماع إما تسعك، وقد ذكره فى عدة مواضع من جوابه. وسوف اشير إليه فيما يلى إن شاء الله:

المبحث الثالث: تعامله مع الإجماع:

الإجماع هو الاصل الثالث من اصول الشريعة الإسلامية التى لا تجوز مخالفتها عند «أبى نبهان»^(٢) ولا بد لرواية الإجماع من المسلمين من سند صحيح؛ لأن ثبوت الاصل من جهة الرواية شرط لصحة العمل به^(٣)، ولا تجوز مخالفة الإجماع أصلاً عند الشيخ «أبى نبهان». ومما قاله فى ذلك: (واعلم أنه لا يصاب العدل فى الراى ولا

(١) من رسالته إلى من قال بتشريك أهل القبلة ص ١.

(٢) انظر السعدى - قاموس الشريعة: ١/ ٧٢. جوابات - أبى نبهان: ٥٠، ٩٢، ١٣٧.

٣٢٦، ٥٩٠، ٣٢٢، ٣٠٨، ٢٠٦.

(٣) السعدى - نفس المصدر: ص ٥٧، ٩١.

فى شىء من الدين على مخالفة الثابت من الكتاب أو السنة أو الإجماع^(١).

وقال فى موضع آخر ما نصه: (وما ثبت وصح خروجه من ذلك على معنى الإجماع فلا يجوز فيه الاختلاف)^(٢).

والمسألة المختلف فيها بين الفقهاء ولا يوجد فيها إجماع من قبل لا يتم فيها الإجماع عند «أبى نيهان» - إذ يقول: (ولو أجمع على العمل بقول من الأقاويل الجارية فى تلك النازلة أهل عصر من كل قرية أو مصر أو من جميع الأقطار والقرى والأمصار، ما كان ذلك بمزيل لما ثبت، وصح فيه من الخلاف إجماعاً بلا خلاف)^(٣).

وقال فى مسألة أخرى عند حديثه عن رأى فى غير الأصول الثلاثة ما نصه: (والحق فى الحقيقة فى الباطن هو الحق الذى أظهره فى الظاهر لعباده على لسان نبيه فى كتابه وسنة رسوله - عليه السلام - وإجماع الأمة لا غيره لا يختلف بإجماع ولو كثر فيه الاختلاف والنزاع؛ لأنه واحد والقول فيه واحد من أصاب ملك ومن أخطأه هلك والعباد بالله)^(٤).

(١) السعدى - نفس المصدر: ص ٤٢٧، ٤٢٩، ٤٧٥، ٤٨٣، ٥٦١، ٦٠٠.

(٢) نفس المصدر: ص ٤٢١.

(٣) السعدى - نفس المصدر: ص ١٥٩.

(٤) نفس المصدر: ص ٤٩٥.

وقال: (كفى بإجماع أهل الحق على ذلك حجة فى ذلك لأنهم
الامة، والله لا يجمع امة محمد ﷺ على ضلال ولا خطأ، وما خرج
عن الضلالة بالحق فلا يكون إلا حقاً، كما لا يكون ما خرج عن الحق
إلا ضلالاً، إذ ليس بينهما منزلة ثالثة)^(١).

والاتفاق نوعان .. أحدهما الإجماع . والثانى ما حصل التوافق
على التواطىء فى القول عليه من غير الإجماع من القائلين له، ولا
يكون ذلك - وإن لم يشبه الإجماع - على حال كالإجماع وما أشبه
الإجماع فى حكمه، وإن كان يعينه لم يجمع عليه فهو مثله^(٢).

وفى معرض كلام له آخر قال: (والله لا يجمع امة محمد ﷺ
على ضلال ولا خطأ)^(٣).

وبالجملة فالإجماع اصل من اصول التشريع فى الإسلام، فلا
يجوز لأحد مخالفته، وكثيراً ما يؤيد الشيخ كلامه بأحد الأصول
الثلاثة التى قام عليها الإسلام، ولا يجوز الرأى والنظر فى الأمور التى
ورد بها نص من الأصول الثلاثة . والقول الذى لا يرجع إلى دليل شاذ
عند الشيخ لا يعمل به^(٤). أما قياس ما ليس فيه نص على ما ورد فيه
فلا بأس به وهو الذى سنبحثه فيما يلى .

(١) أبو نيهان جاعد - الجوابات: ص ٤٧٨ .

(٢) نفسه: ص ٤٧٣ .

(٣) السعدى - نفس المصدر: ص ٥٠١ .

(٤) أبو نيهان جاعد - للمصدر السابق: ص ٥٩٩ .

المبحث الرابع : موقفه من القياس :

القياس : هو قياس فرع على الأصل لعللة جامعة بينهما . والشيخ « أبو نيهان » ممن يثبت القياس ويقول له ويشنع على من منعه، إذ لا يمكن أن تنص الأصول الثلاثة على كل ما يحدث في الدنيا، بل جعل الله معرفة ذلك إلى الراسخين في العلم، الذين بلغوا درجة الاجتهاد .

والعلة الموجودة في الأصل إذا كانت موجودة في أمر آخر لا يوجد فيه نص، فإنه يقاس على الأصل ويطلق عليه حكمه، إذا لم يكن هناك مانع في جريان العلة وتشبيه الأصل بالفرع^(١) .

ومثال ذلك عند « أبي نيهان » ما نصه : (وبذلك فيما يروى حكم النبي ﷺ في بريرة لما اختارت نفسها، وكأنهما في القياس من كل وجه بالعلة الجامعة بينهما في كل حال لعلى سواء في هذا)^(٢) .

ويعجبني أن أنقل نصاً متكاملاً عن « أبي نيهان » في معرض جوابه لمن سألته عن قول الشيخ أبي محمد بن بركة البهلولي : (والقياس لا يصح إلا على أصل متفق عليه) . وعن قول من زعم في اختلاف الرأي : (وإن صح فخرج على ظاهر العدل، فالحق لا يكون إلا في واحد، وما سواه خطأ عند الله تعالى) .. فقال : (ما حمل من

(١) أبو نيهان جاعد - جوامع : ٤٠ .

(٢) نفس المصدر : ٤٢٤ .

القروع فى القياس على أصل صحيح ثابت لجميع، من الكتاب أو السنة أو الإجماع لعلة جامعة بينهما فيه معنى حكمه وكان بمعناه، فإن أشبه أصليين متنافيين فى الحكم، فالذى هو أقرب إليه شبهاً كأنه أولى به أن يخرج حكمه فيه، وإن كان من الآخر البتة لا يتعرى، وإن لم يترجح إلى أحد الجانبين صح فيه على التساوى حكم المعنيين جميعاً، وكان القياس فيه بهما من كل منهما على أصل صحيح متفق فى الإجماع عليه.

وكذلك مما وقع الاختلاف فيه على هذا بين القايسين إذا كان قد تعلق كل منهم بأصل له التعلق به منهما، والقياس على ما قيس فرع لفرع الأصل المقياس له من متفق فيما دون الإجماع ذلك الفرع عليه، أو مختلف بالرأى فيه، لأنه بالنسبة عن التتبع راجع إليه^(١).

وقال فى موضع آخر:

(إن القياس فى الأصل عبارة عن مقايضة بين معلومين، والمراد به فى النوع الفقهى استخراج حكم المجهول بالمعلوم، وهكذا حكم القياس الفلسفى فى النوع المنطقى يؤلفونه من مقدمتين أو أكثر، لتخرج من بينهما النتائج بعد الازدواج، فيظهر ولا شك عند أولى الأبواب فى نتاجه أنها حق، والعمل بها كذلك مهما أحكم وحرس

(١) نفس المصدر: ٤٧٣ . السعدى - قاموس الشريعة: ٢٧٢/١.

فى الوزن من الخطأ، فسلم لكونه فى المثال كالميزان صحيح البرهان،
 يطلع به على باطن خفى، عن ظاهر جلى، وخروج حكم المعلوم
 المنصوب للقياس فى المجهول الذى به يقاس كيفما كان، وعلى أى
 حال كان، فيكونان على سواء للعللة الجامعة لهما، الموجب حكم
 الاشتراك فى الحكم بينهما فى جميع ما اشتبها فيه من شىء، ما لم
 يمنع من جريانها فيه مانع، لانه معلول لعلته، والقياس بالشبه على
 وجوه عدة، وكله على تجرده من العلة كذلك غير جائز.

والعلة أنواع والمستنبطة أنواع منها، وهى فى الجملة على ضربين
 متفق عليه ومختلف فيه، والمعلومات النظرية المستخرجة بالرأى
 كذلك، وقد أجمع أهل العدل على الرأى والقول بالرأى، والعمل
 على الرأى فى مواضع الرأى فوق الاتفاق على أشياء نعمة،
 والاختلاف فى الأخرى نعمة^(١).

ويكفى ما جاء فى هذا النص عن التعليق، وذلك لأن فيه
 التصريح باستعمال الشيخ أبى نيهان للقياس والعمل به، ولا شك أنه
 ضليع فيه، بل فارس فرسان ميدانه؛ لقوة علمه وصفاء جنانه وفصيح
 لسانه.

وقال فى معرض رده على الشيخ أبى محمد حيث منع القياس إلا

(١) أبى نيهان جاعد - جوابات: ص ٤٨٧ وما بعدها - وانظر السعدى - القاموس: ٢٩٤ -
 ٢٩٥.

على أصل متفق عليه ما نصه: (ولا نعلم ان احداً من اهل العلم والتقى والحلم انكر في الدين على قائله، ولا حكم في الدين بالخطا على فاعله، من لدن الصحابة إلى زماننا هذا، والحمد لله حمداً يوافي نعمه على كل حال، ولولا انه حق وصواب لما اجتمعت الامة عليه قولاً وفعلأً، امرأً وحكماً عملاً وعلمأً، وعلى ذلك الكتاب والسنة دالان، فهما فيه إذن برهانان، وإذا كان الامر فيهما كذلك، وكان القول بالرأى في الحوادث، يضح ويجوز في مواضع الرأى، ويلزم في مواضع لزومه على من قدر يأتى فيه قولأً برأى عن أحد ذى رأى أو اقاويل أو لم يأت فيها شىء فكله سواء، فكيف يمنع القياس به لما أشبهه من شىء، لان يجرى حكمه فيما أشبهه فساواه فيه؟ وإن كان في الظاهر على العدل، فكانى لا ارى هذا ولا اعلمه، ولا يبين لى إلا جوازه، ولزومه في مواضع فرضه، وخروج حكمه فيما أشبهه كالمتفق عليه في الحق، أو المختلف فيه فلا فرق، وكله سواء في رجيح المعقول، وصحيح المنقول بأن ما أشبه الشىء فهو مثله، وقد دلت النصوص؟ في الآثار عن المسلمين الاخيار في مواضع شتى، واماكن يكاد أن لا تحصى أنهم قد فعلوا ذلك، وقاسوا على هذا وذا جميعاً، ولم يقل أحد نعلمه بالمنع منه في مواضع الاختلاف، إلا أبا محمد هذا، والله أعلم بحقيقة مراده^(١). هذا نص كلامه، وهو دليل على أن الشيخ

(١) أبو النبهان جاعد - جوابات: ٤٨٨.

يشنع على من ينكر القياس على الفروع المختلف فيها، فكيف بالأصول المتفق عليها؟^١.

وقد نقل الشيخ البشرى قوله فى القياس أيضاً بما نصه: (والقول فى القياس فيما يجوز فيه القياس شائع بثبوته عند من أبصر الحق الحقيقى، فركب على الراح سفن المعرفة لجج بحار العلوم، فى طلب استخراج جواهر المعانى من أنفاس أصداف غوامض أسرارها، وسبر دقائق حقائق مسالك سبل حقيقة الحقيقة عن صافى غماض قفار بحار انكارها، فأخرج درر المعانى، فأتى بما لم يؤت فى اشطارها)^(١).

فى هذا النص أن القياس ليس فى كل شىء كما أسلفنا، ولا من كل أحد، بل هناك شروط فى التطبيق، وفى النقاش حتى يصبح القياس كما هو مقرر فى علم أصول الفقه.

وهذا يدلنا بل يوجب علينا أن نبسط القول قليلاً فى موضوع الاجتهاد؛ للحاجة إلى ذلك، وقد عقدت المبحث التالى لهذا الموضوع فاقول:

المبحث الخامس: رايه فى الاجتهاد:

الاجتهاد.. وهو بذل الطاقة من التفكير من عالم قادر على الاجتهاد فى استخراج حكم مسألة نازلة لم يأت فيها نص لا من

(١) موسى بن عيسى البشرى - مكنون الخزان: ١/ ٧٥.

الكتاب ولا من السنة ولا من الإجماع. ولذلك قالوا (لا اجتهاد مع نص)، والاجتهاد يكون بمسائل الرأى لا بمسائل الدين التى يدان لله فيها بالاعتقاد بمعنى أن مسائل الاعتقاد لا يجوز فيها الرأى؛ لأنها مسائل معروفة محددة، وقد ثبتت بالأدلة القطعية من الكتاب والسنة والإجماع، (والدين جاء فى كتاب الله أو سنة رسول أو إجماع الأمة فى كل دهر وزمان وفى كل بقعة ومكان) وما دل بعدم التنزيه للبارىء من متشابه الآيات فيرد على منحكم القرآن، ولا يؤخذ أحكام العقائد من الأحاديث الأحادية بالنسبة للذات والصفات، وأما بالنسبة للسمعيات فقد أجاز العلماء الرأى فيها كعذاب القبر والصراط ووجود الجنة والنار وأمثالها، بل ورد الخلاف فيها مصرحاً به.

أما رأى «أبى نيهان» فى الاجتهاد.. فقد أطل فيه القول فى كثير من جواباته التى بين يدى، ولكنى أختار فى هذه العجالة أن أضع عدة أسئلة من عندى، وأجيب عليها من نص كلام أبى نيهان نفسه؛ لأن كلامه منسبك، وقد لا يعسر على البعض فهمه.. فمن الأسهل أن يوضع كما ذكرت. ونسوق بعض الأمثلة.

س - من الذى يباح له الاجتهاد والنظر فى استخراج الأحكام؟
ج - ليس لكل إنسان نور قلب يقدر به على النظر، ولا التمييز لأصح ما جاء فى الأثر، وإنما ذلك لأهل العلم والبصر^(١). وفى موضع آخر قال:

(١) أبونيهان جاعد - جابات: ٤٢٨.

(وفى آراء المسلمين والحمد لله متسع لمن عرفها وأبصر عدلها،
وقدر على استخراج ما يدل عليه بمعانيها، إلا أنه ربما أنكر أهل
الضعف والعمي عن درك أنوار الهدى كثيراً مما يستخرجه أهل الفهم
والقوة فى العلم بالدليل عليه من معانى أقوال الأولين أهل الاستقامة
فى الدين^(١)). وفى موضع آخر قال: (وليس كل من نظر كان له النظر،
حتى يجتمع له الفقه والبصر فيما يجوز فيه النظر).

س- إذن فما رأيكم أيها الشيخ فيمن قصر عن هذه المرتبة من
الناس؟ ومن الذى يقلده؟

ج- أما من كان من أهل الضعف عن هذه المرتبة فقصاراه
المشاورة لأهل العلم والورع، والاستدلال بهم على الأصح والمذهب
الأرجح، ومهما عليه اختلف أهل العلم فى ذلك أعتمد على قول
وليّه، فإن كانوا له أولياء أخذ بقول الأعلّم فيما قيل^(٢).

س- ماذا ترون أيها الشيخ فيمن لم يجد من يقلده وليس له
بصيرة بالترجيح؟

ج- إن عزت المناظرة عليه لمن يرجو أن يدرك بغيته منه، خرج
فى حقه ما قد قيل إن له أن يأخذ بما أراد من رأى الفقهاء، وقيل: إنه
لا بد له من أن ينظر فى ذلك بجهده، ويتحرى الأعدل بقصده،

(١) نفس المصدر : ١١٤ .

(٢) نفس المصدر .

ويعمل على ما يغلب على ظنه أنه أعدل، ويكون عليه حتى يلقى من يذله، على أعدل ذلك من أهل العلم والبصيرة المأمونين على ما حملوه من العلم، وقيل عليه أن يعرف الأعدل من الأتوايل ويكون فيها كابن عباس وإلا هلك^(١).

س- هل هذا الرأي صحيح عندكم؟

ج- لا يبين لى فى هذا الرأى إمكانه؛ لأنه فى موضع ما يمكنه الوقوف عليه من ذاته، أو من فور الاستدلال عليه بغيره، وإلا فيحال عدم العبارة والعجز عن المعرفة له من بين ما قيل فى نفس الشئ من الاختلاف فى الرأى^(٢).

س- ما هو الأنسب عندكم من هذه الأقوال الثلاثة المتقدمة؟ وهل الأصح عند عالم ما بالضرورة يكون فى النظر صحيحاً عند غيره؟

ج- الأوسط كانه فى هذا الموضع أقسط؛ لأن إلزام الوقوف على الأصح مع عدم القدرة له عليه فيه تكليف شطط، والإهمال عن التحرى للأصوب قصور عن استفراغ الجهد المطالب به فى أصل التعبد، وليس الأصح - على الصحيح - موقوفاً على

(١) نفس المصدر: ٤٢٨.

(٢) نفس المصدر.

نظر معين في حق أرباب البصائر، بل ربما يقع فيما بينهم فيه التباين في الرأي، كما وقع في نفس الآراء يوم الاجتهاد في استنباط العلة^(١).

س- هل لمن أراد العمل بقول من جملة أقوال أن ينظر الأعدل؟ وهل يعنف إن عمل بقول منها؟

ج- لا بد له على الأصح من التحري عند العمل لأعدلها، وذلك وجه السلامة له عن الهلكة؛ لأنه على هذا ما لم يخرج من الحق إلى الباطل فلا يصيب إثماً ولا هلاكاً - إن شاء الله تعالى -، ولا نعلم في ذلك اختلافاً، وإذا كان في هذا هكذا، لم يجز أن يُخلَقَ في ذلك بالعيب على أحد اتبع فيه رأياً احتمل له في وجه الحق، وكان له متعلق في النظر بالرأي أو بشيء سبق في الرأي من أراد من أهل العلم من المسلمين، وإنما العيب على من خالف الأصول وصدف عن ملة الرسول، أو نصب الرأي دينا أو تكلم مينا.. إلخ..^(٢).

كما أن الشيخ - رحمه الله تعالى - يأمر بالنظر في الأعدل من الأقوال في أغلب جواباته، وعلى سبيل المثال جاء في بعض جواباته: (فانظر فيه وتدبر معانيه، ولا تعتمد إلا على ما تراه إلى النجاة سبيلاً، وعلى منهاج السلامة دليلاً، ولا يغرنك حسن الاتكال على من قال،

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر: ٤٢٩.

ولكن انظر فيما قال، فما وافق الحق فخذ به، وما خالف الحق إلى غيره من الباطل فاطرحه عن نفسك له رفضاً، وما أشكل عليك فيه من شيء فقف عنه، والتمس عدله إن اضطررت إليه من كتاب الله وسنة رسوله أو إجماع الأمة أو رأى أهل العدل من الفرقة المحقة، لعلك أن تصيب القصد وتهدى فيه إلى الرشد، ويرتفع عن بصيرتك الحجاب فتراه على ما هو عليه من خطأ أو صواب^(١).

هذا كلام الشيخ.. فتراه يأمر بالنظر والرأى، وينهى عن ضده، ويشترط لذلك الاعتماد على الكتاب أو السنة أو الإجماع؛ لئلا يخالف الناظر النصوص القطعية، فيصطدم مع النص.

ولا يأخذ الشيخ برأى من ليس من أهل الرأى، ولا يتكل على رأى مثل ذلك المفتى، بل ينظر بنفسه فى المسألة، فما وافق الحق أخذ به. ومما جاء عنه فى هذا الموضوع ما نصه: (وإن كان فى حفظى عمن أدركته ممن ادعى جوازه من المتأخرين فلا أقوى عليه ولا العمل به، ولا أقول أنه ممن تؤخذ عنه الفتيا بالرأى، إذ لا أقول فيه إن له قوة علم تظهر له معنى، ولا أدرى أنه من رأيه، ولا أنه أخذه بالتلقى له من غيره ممن له بصيرة نافذة فى العلم، إذ لم أفحصه عنه ولا بان لى صوابه، وفى نفسى منه جرح)^(٢).

(١) نفس المصدر: ١١٤، ١٠٤، ٨٤، ٥٦، ٦٠٠.

(٢) نفس المصدر: ١٢٩، ١٨٠، ١٨٥، ١٨٦، ٣٠٤، ٣٨٠، ٤٢١.

وقال أيضاً: (ولقد وجدنا فيهم قولاً لبعض المتأخرين من أهل زماننا ولا أقدر على رفعه إليك، لما فيه من مخالفة آثار الماضين مثل محمد بن محبوب وأبى سعيد وغيرهما من فقهاء المسلمين. وكلاماً أعرضنا عنه؛ لصدوره عن من هو أقل فقهاً من المتقدمين؛ ولأنه - على إطلاقه - يقتضى المنع فى مواضع مباحة دل عليها صريح الأثر وصحيح النظر^(١)).

وهذا لأن الشيخ من أهل الاجتهاد واستنباط الأحكام، إذ لا يجوز للعالم الذى بلغ هذه الدرجة إلا أن ينظر فى العدل من الأقوال، كما أنه لا ينبغى له أن يأخذ بشواذ الأقوال، ولا ضعيفها كما ذكر نفسه سابقاً.

ومع هذا فإن من أخذ بقول من أقوال المسلمين من ضعفاء الناس الذين لم يتأهلوا للاجتهاد فهو سالم - إن شاء الله - فى نظر الشيخ «أبى نيهان». وهذا نص كلامه فى ذلك: (وإن توسع فى ذلك بغير ذلك من الجائزات، ولم يخرج من صحيح آراء المسلمين لم نشرع إليه بالتخطئة تعنيفاً)^(٢).

ولكن الشيخ «أبا نيهان» يحب الاحتياط للمسلم، وإن لا يتبع المؤمن الرخص كما سلف، بل يتحرى لنفسه الخروج من الخلاف ما

(١) نفس المصدر: ١٨٢.

(٢) نفس المصدر: ٤٢١.

امكن . فمن ذلك قوله : (ونحب لمن استنصحننا واحب ان يناصح نفسه ان ياخذ فى جميع اموره بالوثيقة ما قدر ، لا سيما فى الفروج ، وان يتبع فى ذلك بالحلال الصرف العارى من الاختلاف)^(١) .

وبجانب هذا . . فإن الشيخ يعيب على من يمنع الضعفاء من الاخذ بأى قول من اقوال المسلمين ، إذا كانوا لم يبلغوا درجة الاجتهاد ، أما المجتهد فعليه أن يتحرى اعدل الأقوال ، وبهذا جاء الاثر عن السلف . وفى ذلك يقول معيباً على المانع : (وعلى الحاكم ان يحكم بينهما بما يراه من الراى انه على اجتهاد منه انه اصبوب ، كذلك على كل عامل ان يعمل بما يراه من الراى إلى الحق اقرب ، وليس عليه فيما عليه ان يعدل عنه إلى غيره من الآراء ، ميلاً إلى الرخصة ، ولا يميل غيره إليه ، إلا أن يراه الاهدى والأصح والأقوى والأرجح ، خلافاً لما قاله هذا القائل إنه لا يجوز للناس ان يتعلق كل واحد منهم بقول ، وما أبعداه عن الصحيح وأحراه بالإبعاد والطرح ؛ لانه فى غاية البعد عما قال به فى هذا اهل العلم والبصر ، إذ لم نكن نرى له اشباهاً يقاس بها فى الأثر ، كلا . . ولا ينساع هذا فى حكم النظر)^(٢) .

وأما القول بغير حجة . . فيبطله الشيخ ، إذ لا بد لكل قول من

(١) نفس المصدر .

(٢) نفس المصدر : ٤٢٦ ، ٤٢٧ .

مستند يستند إليه قائله، أو علة سوغت قياس الحكم على أمر بالحكم على أمر آخر سابق له، وعلى هذا فما كان غير مستند إلى دليل، فهو باطل عنده، ولا يصوبه^(١).

وأحياناً.. يتوقف فيما لم تظهر له فيه الحجة، أو فيه شبهة من الفهم، أو كان من أمر الغيب. فهو يقول: (ونحن.. فليس لنا أن نتعاطى ما لم يؤذن لنا به، ولا علينا أن نتكلف علم شيء مما غاب عنا علمه مما لا دليل عليه ولا سبيل إليه لمعنى الإحاطة به..)^(٢).

أما القول بالدين في موضع الرأي ضلال، والعكس كذلك، فلا يجوز أن يفتى ولا أن يحكم في موضع كل واحد منهما بحكم الآخر، وقد ألح الشيخ «ابو نيهان» على ذلك كثيراً في كثير من نصوص كلامه، وكرر كثيراً وجوب التفريق بينهما. وقال: (إن الدين هو ما جاء منصوباً به في الأصول الثلاثة، وما عداه فيسع فيه الرأي، ولا يجوز أن يحجر فيه على الناس النظر والاجتهاد)^(٣).

اتباع السلف ما أمكن:

ومع مكانة الشيخ العلمية العالية، وقدرته الفائقة على الاجتهاد،

(١) نفس المصدر: ١٠٣، ٩١، ٦٣، ١٤٥، ١٩٧.

(٢) نفس المصدر: ١٩٧.

(٣) نفس المصدر: ٥٤، ٧٦، ١٠٣، ١٥٩، ١٦٨، ١٩٧، ٢٠١، ٢٠٥، ٣٠٤، ٤١٨،

٤٢٦، ٤٧٤، ٤٩٥، ٥٩١.

واستخراج الاحكام، إلا انه كثيراً ما يتعلق باتباع السلف من مشايخ
أهل الاستقامة فى الدين، الذين شهد لهم التاريخ بالمرتبة الكبرى فى
العلم والورع، ولا يحب مخالفتهم ما وجد إلى ذلك سبيلاً^(١).

اللهم إلا إذا رأى ما يوجب مخالفة من تقدمه؛ لحجة ظاهرة،
لا يستطيع الحياد عنها، فإنه مع الدليل مهما يكون، ولا يميل عن
الأعدل إلى ما هو أضعف منه حجة ولو قال به السلف، وقد ورد ذلك
فى مواطن عديدة من جواباته^(٢).

وعند استحسانه لقول من أقوال الفقهاء كثيراً ما يستعمل كلمة
(أميل)^(٣)، وهذه عادة كثير من الفقهاء، إذ يجعلونها بديلاً من
لفظة الاستحسان الحكم بالظن فى رأى الشيخ أبى نيهان.

ولا يجيز الشيخ أبو نيهان الحكم بالظن، مثال ذلك.. المفقود
حتى تنقضى مدة فقده التى حددها الفقهاء.. ونقل من ذلك نصاً
من جوابه لمن سأل عن مثل هذه الحادثة: (ولا يجوز أن يحكم بموته
على الظن أنه لو كان حياً لرجع إلى أهله أو أتى خبر حياته، رجماً
بالغيب، كما قد فعل ذلك فى هذه الحادثة بغير الحق، وقضى به فى
الناس على غير وجه العدل الثابت على الصراط المستقيم، وفى ذلكم

(١) نفس المصدر: ١٠، ٢٧، ٤٢٤، ٤٥١، ٥٩٨، ٦٠٠.

(٢) نفس المصدر: ٤١، ٤٤، ٥٢، ٦٢، ٦١، ١٤٥، ١٥٣، ١٥٩، ١٦١، ١٨٠.

(٣) نفس المصدر: ٣٢، ٩٣، ١١٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٧، ٤١٨، ٥٥٧.

بلاء من ربكم عظيم، حيث إنها حيزت الأموال ظلماً، وانتهكت الفروج حراماً، وعطلت الواجبات لهم وعليهم، ما لم ينقض أجلهم لفقدهم، أو غيبتهم، أو يصح موتهم، أو قتلهم بغير حجة ولا بيان، ولا دليل ولا برهان، إلا اتباع الظن جهلاً، أو ما تهواه الأنفس باطلاً، فإين هم والآثار، ومقال أولى الأبصار^(١).

هذا .. وقد يأخذ الشيخ «أبو نيهان» ببعض الأدلة الشرعية الأخرى، من ذلك ..

المبحث السادس: (أخذه بالأدلة الأخرى:

أ - يأخذ الشيخ أبو نيهان بالاستحسان .. وقد أشار إلى ذلك في مسألة من اقترض من مال اليتيم كان تحت يده بلامقرض حيث كان ذلك من التقود أو مما يكال أو يوزن فله الربح وعليه الضمان ولليتيم عوض ماله وهذا من قول أبي سعيد الكدومي - رحمه الله - فاستحسنه الشيخ واحتج له بقوله عَلَيْهِ : « ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن »^(٢).

كما استحسن قول من أجاز للوكيل استعمال الخائن على سقى

(١) نفس المصدر: ١٨٧، ٤٣٩، ٤٢٠.

(٢) نفس المصدر: ص ١٣٩.

أموال اليتيم، والوقف لاجل الضرورة، خوفاً من ذهابها عطشاً حتى يجد الأمين نظراً للصالح، إذ سئل عن ذلك فقال: (الله أعلم بسلامته .. وإنى لا أقطع ثم يهلكه؛ لأنى لا أعلم كون المنع عند ذلك حجراً له من صريح كتاب ولا من صحيح سنة ولا من صحيح إجماع، إلا ما جاء به الأثر قولاً بالمنع مجملأً لاختلاف فيه عن أحد نعلمه، ولهذا فإننى أرى هذه الثلاثة الأصول تقوية بالمعنى لهذا النظر فى الحكم، يرى ذلك فيعرف تأويلها الفطن إذا تأملها وأمعن النظر فيها، إلا أنى لو قال قائل عند هذا بأنه لا يبعد تجويزه من الإجازة فى الجائز نظراً؟ لانه الأصلح عند مقابلة الأقبح، صرفاً لحاضر المضرة، حتى يفرج الله بوجود المأمونين على ذلك، وفعل كل ذلك برأى منه، لدفع الواقع مع خوف المتوقع، نظراً فى الصلاح لئلا تتلف الأموال عطشاً لم أقل إنه أخطأ وجه الراى ديناً، وإن كنت لا أقوى عليه لضعف منه ولا أمره، لدقة علم ما لم يخرج من الصلاح رأساً فى نظر أهل النظر^(١).

ب- أما المصلحة المرسلة .. فإن الشيخ يأخذ بها وينطبق عليها المثال السابق، وذلك لأن ما لم يرد اعتباره ولا إلغاؤه فالعمل به من المصالح المرسلة للقائم بالامر، وذلك مثل الأمور العامة التى تحتاج إلى تنظيم ونظر الأصلح بشأنها، وللقائم بالامر إذا رأى مصلحة فى منع

(١) نفس المصدر: ص ٣٢٦.

شيء أو إباحته مما لم يرد فيه نص قاطع بالإباحة أو المنع بحيث لا تجوز مخالفته، فله أن ينظر الأصلح للامة.

ج- أما سد الذرائع.. فكثيراً ما يحبذه الشيخ، وخاصة فيما يؤدي إلى التهور وفتح باب إلى الفساد، مع الأخذ بكتابة الثقات في الوصايا وغيرها من غير شهادة الشهود، هذا إذا كان ثقة. فكيف فيمن كان غير ثقة؛ لكلا يؤدي ذلك إلى فتح الباب إلى نهب اموال الناس من بالغ أو يتيم^(١).

وليست من نصوص يعينها من كلام الشيخ أبي نيهان في هذه الأدلة، ولكن من تتبع فقهه يجد أنه لا يحب فتح مظان الشبهات سداً للذرائع الفساد في المجتمع.

د - ولكن الشيخ مع هذا كغيره من فقهاء المسلمين يأخذ بالواسع والاطمئنان في الأمور التي لا يؤدي الأخذ بقول من أقوال المسلمين فيها إلى فتح باب الفساد، أو يرد حكم يمنع من الأخذ بما تطمئن إليه النفس ويسكن إليه القلب، وقد رد مثل ذلك في كثير من جواباته، ولا أرى ما يدعو إلى الإتيان بأمثلة من ذلك^(٢). ولكن إذا تعارض الحكم والاطمئنان فلا بد من الأخذ بالحكم.

ويقيد الشيخ الأخذ بالاطمئنان بوجوب أن يكون من نظر أهل

(١) نفس المصدر: ص ٢٨، ١٢٣، ١٣٥، ١٧٣، ١٧٦، ١٧٧، ٢٠٧.

(٢) نفس المصدر: ٢٠٩.

العقول الاتقياء، وليس ما تطمئن إليه قلوب الفسّاق، ويحسن أن أنقل نص كلامه في هذا الموضوع. فهو يقول: (وقد تختلف الاطمئنانات من المطمئنين لموضع بصيرة قلوبهم، أو عمى قلوبهم؛ لانه قد يجرى التصديق من أعمى القلب لموضع هواه ولموضع تصديقه واشكاله ونظرائه وأمثاله، ولا يصح قولهم بالاطمئنانة في قيمة خردلة، مع من يبصر الاطمئنانة من أهل البصائر فيها، وهذا ما لا يخفى على أهل العدل، وكل شيء أخذ من طريق العقل فليس له غاية إلا صحة العلم في العقل، وكل شيء أخذ بالحكم فقطع حجته صحة الحكم، وكل شيء كان صحته من طريق فلا يكون صحته إلا من عقل متبصر للحجة، والقول في مثل هذا يتسع لاختلاف الناس واختلاف معانيهم، ولكل ثقة ثقة ولكل أحد شكل، ولا يكون ثقتة إلا باشكاله، فليس كل الاشكال ولا كل الناس يبصرون أحكام العقل، وإنما ذلك إلى المبصرين. إلخ^(١).

المبحث السابع: أخذه بالقواعد الفقهية:

أما أخذ الشيخ بالقواعد الفقهية.. فإنه يأخذ بهذه القواعد وخاصة أربع قواعد منها، وهي:

الأولى: الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى.

الثانية: اليقين لا يزال بالشك.

(١) نفس المصدر: ٢٠٩.

الثالثة: لا ضرر ولا ضرار فى الإسلام.

الرابعة: الأصل فى الأشياء الإباحة حتى تثبت الحرمة.

فتراه يستدل بهذه القواعد فى كثير من جواباته، ولم يذكره بصفة مستقلة شأنه فى ذلك شأن أكثر الفقهاء العمانيين، ولكن لكل واحدة منها موضع فى واقع الاستدلال بها عند اللزوم^(١).. ولا يتسع المقام لذكر الأسئلة نقلاً من النصوص المتوفرة فى ذلك، خوفاً من التطويل.

وبعد هذا التطواف فى الأخذ بالأدلة والتمسك بها، فهل يأخذ الشيخ بالرخصة أم لا؟ هذا ما سنجيب عليه فى الفقرة التالية..

الأخذ بالرخصة،

يأخذ الشيخ أبو نيهان بالرخصة عند الحاجة فقط، وقد حكى عنه ابنه الشيخ ناصر أنه يبذل الرخصة للتائب الراغب فى طاعة الله تعالى -، ولكنه يشدد على المستفتى الطالب للحيل، الذى يبتغى بذلك اتباع الهوى والمعصية^(٢)، أما فى غير ذلك فلا يحبذ الأخذ بالرخص، بل يؤكد على الأخذ بالحذر. والرأى الأسلم التمسك بالأعدل، والخروج من الخلاف^(٣).

(١) نفس المصدر: ٩٠، ٩١، ٩٢، ١٠١، ١٣٠، ١٣١، ١٣٨، ٣٠٨، ٣٢٢، ٣٢٣،

٣٨٧، ٣٨٣، ٣٥٨.

(٢) أنظر السعدى - قاموس الشريعة: ١/ ١٣٥. وأنظر أبا نيهان جاعد - الجوابات: ٩٣.

(٣) أبو نيهان جاعد - نفس المصدر: ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٣٠، ٤٣٣، ٤٣٥.

بعض المصطلحات التي وردت في جوابات إبي نيهان:

المنزلى: أى بالارقام الحسابية للاحروف الهجائية.

الغيلة: الطين إذا هيىء للبناء به.

التبن: قشور البر والشعير وما شابههما، والأطراف الصغيرة من السنايل.

الخطوط: الرسائل وواحدها خط، وليس بمعنى الخط المستقيم.

الطروس: الشئ المكتوب سواء رسالة أو غيرها.

حشرى: أى وقف مؤيد إلى يوم القيامة.

القواصر الربط: هى الظروف أو الأوانى من سعف النخيل، التى يكتنز فيها التمر، وهى دون الجراب.

غلافة: الغلاف الذى تجعل فيه الرسالة.

الجبرة: الجملة.. وهو خاص بما يشتري جملة. يقال اشترته بالجبرة أى بالجملة.

ساعد الفلج: إحدى القنوات أو السواقي الموجودة تحت الأرض التى تغذى الفلج.

المنزف: البئر المتروكة للسقى. وهذا المصطلح خاص بالبئر قريبة الماء.

الميزاب: هو الذى يصب منه الماء من سطوح المنازل.

الواسع: الأخذ بالجائز.. وهو التوسع فى الأخذ بما يسع وليس فيه إثم.

صيغة: حلى المرأة.. وهو مصطلح علمى عند العمانيين.
الرحى: طاحونة من الحجر يطحن بها البر؛ كى يصير دقيقاً للخبز، وهى خاصة بذلك.

المبحث الثامن: إسهاماته الأدبية :

ما وصلنا من شعر الشيخ - رحمه الله - أقل مما كنا نتوقعه، وكان الشيخ اشتغل بالعلم الشرعى فى التأليف أكثر، ولكن الذى بين أيدينا قدر لا بأس به، وقد ذكر لنا الشيخ محمد الخصيبى مجموعة من القصائد، بالإضافة إلى قصيدته الكبيرة المسماة «حياة المهج»، وقد شرحها الشيخ نفسه فى مجلد متوسط، وشرحها آخرون غيره، منهم ابنه الشيخ ناصر بن أبى نيهان، ومعظم هذه الشروح توجد بدار المخطوطات والوثائق فى وزارة التراث القومى والثقافة.

ويحق لنا أن نطلق على الشيخ أبى نيهان وصف الشاعر، وكان شعره فى كثير من الأغراض، منها علم السلوك، وهو الأكثر الغالب، ومنها ما كان جواباً على أسئلة فقهية، ومنها فى الأذكار. وله قصيدة فى الرد على من أنكروا علم الأسرار.

ومن قصائده فى السلوك هذه القصيدة:

سبحان من كل يسبحه به	وإليه منه يدين من قد دانا
سبحان من للكون كان مكونا	ما كان أو سيكون كونا كانا
سبحان من شهد الوجود بجموده	ووجوده سبحانه سبحانا
سبحان من هو أول بل آخر	قد كان فرداً دائماً مانا
سبحان من هو ظاهر في فعله	بل باطن في وصفه مولانا
سبحان من هو واحد في ملكه	قد كان قدماً مالكاً ديانا
سبحانه الملك الذي ملك الورى	والملك والملكوت والاكوانا
سبحان من قد كان فى أوصافه	صمداً حكيماً عالماً رحمانا

إلى أن قال:

سبحان من جعل الجسوم هياكلا	تحوى الطبائع أربعا اخدانا
سبحان من للروح قدرها كذا	للفنس والعقل الرفيع مكانا
سبحان من جعل النفوس نفيسة	والنفس أنفاس الهوى ميدانا
سبحان من فى القلب أكن نوره	إذ كان بالسر المصون مصانا
سبحان من بالصدر صون صيقلا	يجلو من النفس الصدى عجلانا
سبحان من جعل الهوى يهوى البذا	وعن الهوى ينهى النهى فهانا

وهى قصيدة طويلة فى تسعة وستين بيتاً^(١).

ومن قصيدة له فى السلوك أيضاً ما يلى :

(١) الحصبى - شقائق النعمان: ١/ ١٤٠ - ١٤١.

أرى العدل عن لوم العذول هو العدلُ
 وحق الهوى ما صادق فى الهوى فتى
 ويصغى إلى قول الرشاة فينشئ
 وينسى على حفظ حفاظا تقدمت
 ويسلو على الهجران من بعد زلفة
 ولا كل من قد رام فى الحب شركة
 ولو كان عن قلب برئ عن الأذى
 ولو أن نور الحب أورى بقلبه
 وخمر الهوى لو خامر القلب بالجوى
 ولو أنه صب شح من الهوى
 وما راع عن نهج الحبيب بمنهج
 هو الحب سهل فى اللسان ادعائه
 منيع الحمى لا بالهوينى ولا المنى

وقصد الفتى وصل الحبيب هو الدخْلُ
 تحلى به عن خلة اللوم والعذل
 صدوداً على هجر وفى صدره ثقل
 قديماً على عهد قديم لها حذل
 ويحلوه حال وقد غاله دغل
 وبهنا بنشراب أو يلد له أكل
 لازوى به وجللاً وزاد به الجدل
 أوار الهوى أمسى وفى جسمه نحل
 لما رده بذل ولا صده عكل
 لما رام غيراً لا ولا منه كل
 وإن لج أهل العذل به الذهل
 على أنه حزن وليس له به سهل
 بلوغ المنى أنى ومن حوله سبل

إلى آخر ما قال ... وهى طويلة قوية المباني غريبة المعانى .

ومن قصائده فى السلوك أيضاً قصيدته المسماة «حياة المهج» ..

وهذا أولها:

تبين أخى فى الله قولى فلانى
 وأهدبه صرفاً فى عموم أولى النهى
 وأدنى قريب كان ذاتى حقيقتى
 على النصيح فى ذات الإله مع العتبى
 كذا فى خصوص من عزم أولى القربى
 فنفسى به أحرى ندباً وإن تابى

أراها على قبح الصفات ذميمة ومن ساءها تسعى بمسعى الردى دأبا
أرى الجهل أمراً كاللهوى يجذب الورى إلى ورطة عن فرطة منهم جذبا
هو المهمة البهلاء والجهل الذى به تاهت الدهماء فى عمه نهبا
كليل دجوجى على أهله سيمحا فضلوا على تبهاء قيعانه الجدا
تبين فإن الجهل بالجهل معضل نعم ربما لا تقبلن نازءه الرايا
هو الخزى والداء القبيح لأهله هو الهوة الدهياء بأوسها لهبا
تنبه فإن الامر ليس بهين وكن فى خلاص النفس منتدبا ندبا

وهى قصيدة طويلة لا نستطيع الإنجاء بها كاملة فى هذه العجالة.
ومن أشعاره فى السلوك أيضاً:

شموس قلوب العارفين بوازع ومن حب غيبر الله هن فوارغ
لها فى خفيات الخفى مطالع وفى غرب أعيان العيان مباح
وفى سر إشراف النفوس مشارق لآفاق أوفاق النفاق دواغ
وانوار أبصار البصائر كونها لاسرار أبصار العلوم منابغ
وهى قصيدة طويلة أيضاً.

ومنها قوله - وهو يبتدىء كل بيت بحرف القاف - :

قرحت زناداً يستضىء بنوره البساب كل العارفين وتعشق
قرشت لنار آنتست أنوارها تحو من البال الخيال وتحقق
قحمت لهم وادى المقدس بالهدى نودوا الا هذى الحقائق تنطق
قطنت باسرار لها فى سرهم تجلو صدى الاهواء لما تزهرق

ومن غريب قصائده القصيدة المقصورة التى يتكرر فيها الحرف الواحد، وهى ثمانية وعشرون بيتاً. ومنها قوله:

الا إني أنسى الأسى من أساءنى وإن لنفـس الأنس نفس الأسى أسى
بليت بنفس والهوى ثم بالدنا ومن البـلايا من لنفـس البلى بلى
جوامع جهل جامعات بجهلها لكل جهول جاهل بالـجوى جوى
دجت من دجاجى الجهل بالجهل نفسه وباطنه من جهله كالدجى دجى
هواء هوى فى هوة هان هونه بمهواه هونا فى مهاوى الهوى هوى
واى فى مآوى الويغ وغل مزند غتل وسيط وزه كالوزى وزى
وله فى طلب الرزق أبيات ستة يتلوها الإنسان بتكرار بعد صلاة ركعتين بوضوء جديد وقلب مفرغ.

وله قصيدة يذكر فيها أحوال أهل زمانه، ويمدح العزلة عنهم، وهى على قافية العين، وله أجوبة نظمىة وأشعار غيرها. يقول عنها «الخصيبى»: (ولهذا الشيخ العلامة الرئيس الربانى عدة مناظيم متنوعة، لا يسع المقام ذكر شئ منها فوق ما أوردنا خشية الإطالة) (١).

وبما أوردنا كفاية للاطلاع، ومن أراد المزيد فليراجع هذه الأشعار من مظانها فى مكـتبات المخطوطات.

(١) الخصيبى - شقائق: ١ / ١٤٠ وما بعدها.

وفيما يلي بيان عن وفاة الشيخ، وما قيل فيه من رثاء، لمزيد الفائدة ..

المبحث التاسع : وفاة أبي نهبان ورثاؤه :

ابتلى الشيخ في آخر عمره بالعمى، ولكن الله قد أحيا بصيرته بنور العلم، ومتعته بجميع قواه البدنية والعقلية، فواصل الليل بالنهار في العلم والعمل، وفرغ نفسه في إحياء الشريعة، ونشر الوعى الدينى بين أبناء هذا البلد الذى طالما أنجب فطاحل العلماء، مثل أبى نهبان، حتى توفى - رحمه الله - محمود السيرة، صافى السريرة، رفيع الشأن والقدر فى يوم الخميس ثالث شهر الحج عند نصف النهار من عام سبعة وثلاثين ومائتين وألف هجرية. وعاش تسعين سنة قمرية، ودفن على رأس فلج الحبل من بلدة العليا، أعلى مسجد العقيبة على سفح الجبل بمكان مرتفع جداً، وقد كتب تاريخ وفاته على لوح حجرى أعلى قبره، تغمده الله برحمته، وأسكنه فسيح جناته.

أما رثاؤه .. فقد رثاه أناس كثيرون، منهم الشاعر المؤرخ «ابن رزيق»، حميد بن محمد بن رزيق بعدة قصائد، كما رثاه الشيخ «ثنيان بن ناصر بن خلف الزامل» بهذه القصيدة، حيث قال :

غال شمس العلوم جهراً كسوفٌ
 ودهى الدين والتقى والمعالى
 ودجى ليل شجيات مصاب
 حين أودى خليفة الله فى إلا
 كل سفر بما لديه شهيد
 منتهى الجود جاعد بن خميس
 ما بكته العيون حتى بكاه
 والديانات والمحابر والإسلام
 كل من لم يهله حزناً وجيعاً
 كيف لا، وهو للجنان منالاً
 شهد العالمون طراً جميعاً
 يا حبيب القلوب عنا توليت
 ومن الغوثُ إن دعت مشكلات
 من لدحض احتجاج من خاصم
 وإذا لبس العمامة علينا
 كنت تُهدى بأمر ربك نوراً
 لو برضوى وزنت علماً وحلماً
 لارعى الله فيك دهرأ دهنأ
 ما سقانا شهد المسرة إلا
 واعترى بدرها السننُ الخسوفُ
 وجميع الأنام خطب مخوف
 عاق قلب الزمان منه رجيف
 رض وولى الصلاح والمعروفُ
 أبد الدهر من علوم يضيف
 وإرث المصطفى الرحيم الرؤوف
 العلم، والأرض والسماء المنيف
 والكتب والقنا والسننُوف
 موته فهو للنفاق حليف
 خيرة الله أريحى عفيف
 إنه الفاضل الكريم الظريف
 فأين الخليفة الموصوف
 معضلات يحار فيها الضعيف
 الدين إذا ما ازدهاه عنه النكوف
 فمن الكاشف المصيب الخنيف
 وضياءً وعادلاً لا تحيف
 كنت أنت الثقيل وهو الخفيف
 بمصاب منه عوادِ صروف
 فيه سم الحِمَام غدراً يديف

كل حلو وكل صفو لذيد
كيف نلتذ مطعماً وشراباً
لو على الدهر من خلود لحي
عجباً كيف يضحك غير جهول
فانظرونا يا أولى النهى باعتبار
وتغزو مسترجعين عسى أن
واستعينوا بالصبر واستمسكوا
واطلبوا العلم قبل أن يرفع
فارتفاع العلوم عن ذى الدنا أن
يا ضريحاً حويت شمساً وبحراً
أنت خير القبور من بعد قبر
ما برحنا وإن قضى ما حيننا
ولما أودع الدفنـاتـر نـتـلـو
فسقى الله قبره سُحْبَ عفو
وعليه فى ظل بردٍ مديد
بالممرات والرزايا مـؤـوف
والمنايا مستنها إلينا رجيـف
خلد المصطفى النبى الطريف
موقن أن تعيش فيه الحقوف
فى مصاب منه الزمان دنيـف
ترزقوا الأجر فالرزايا صنوف
بالحق والحق مستنير رصيف
العلم ويعمى عن الرشاد الصدوف
يحتوى أهلها الثرى والسقوف
موجه العلم ماله قط سيف
المصطفى إنك النزبه النظيف
مسك أخلاقه الحسان تسوف
حكماً قد زهت بهن الحروف
واصطفى نفسه الغفور الرؤوف
ذُلت من جنا الجنان قطوف

وها هنا وقف القلم عن الجولان بانتهاء كتابة هذه القصيدة
الغراء، ولا شك أن فيه مراثى أخرى لا مجال لذكرها فى هذا البحث
المختصر... فهذه القصيدة نختم البحث وإليك الخلاصة..

الخاتمة

لقد تبين لنا من هذا البحث أن الشيخ «أبا نبهان» كان شخصية فذة في أخلاقه وصفاته، وفي تقواه وسلوكه، وزهده وورعه، وإن للشيخ مكانة علمية بارزة يجهلها كثير من الناشئة. فهو عالم بلغ درجة الاجتهاد، وصار ممن يشار إليه بالبنان في شتى صنوف المعرفة تفسيراً وحديثاً وبياناً وأدباً وفلسفة وتصوفاً وغير ذلك من العلوم النافعة، وإن هذا الشيخ كان من علماء الآخرة، فكان يمقت علماء السوء الذين يأكلون بعلمهم، ويتظاهرون بالمعرفة والعلم وهم بعيدون من ذلك.

وقد تصدى الشيخ للتعليم والفتوى، فصار يقصده الطلاب والسائلون من كل حدب وصوب من عمان وغيرها بأسئلتهم ويكتبهم للدراسة، وكان يعيب على أهل زمانه قلة العلم والتهور في الفتوى بالرأى ونصب الرأى دينا والتضييق على الناس في أمور جعل الله لهم فيها سعة.

وكان في منهجه التشريعي يأخذ باصول التشريع الثلاثة وبالقياس والمصلحة المرسلّة والاستحسان وسد الذرائع بعض الأدلة الأخرى كالقواعد الفقهية. وكان يذم التقليد ويمتته، بل ينادى بفتح

باب الاجتهاد بشروطه، وقد رويت مقالته : (إن الراى فى الأصول
أضيق من سم الخياط على جثة الجمل، والراى فى الفروع أوسع من
الدهناء لراعى الإبل)، .. فظهر أنه عالم مجتهد مجدد، له آثاره
العلمية والإسهامات الأدبية والأسلوب الرصين والرد المتين للبدع
والشطط فى الراى، مما يوجب على الدارسين والباحثين أن يتتبعوا
آثاره، وأن ينفضوا الغبار عن مؤلفاته؛ كى تظهر للدارسين والباحثين
والقراء، عسى أن يقيض الله من الشباب من يشمر عن ساعد الجد،
فيخرجوا كنوز التراث من رفوفها، ويقدموها لطالبيها فى أفضل شكل
وأبهى صورة. والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مراجع البحث

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- أبو نيهان جاعد بن خميس:
- جوابات أبي نيهان «قطعة الأحكام».
مخطوطة بدار المخطوطات والوثائق فى وزارة التراث القومى والثقافة.
- حياة المهج - مخطوطة.
- سيرة أبي نيهان - مخطوطة.
- مقاليد التنزيل - مخطوطة أيضاً فى شرح سورة الفاتحة.
- ٣- الخصيبى، محمد بن راشد: شقائق النعمان ج ١ طبعة
وزارة التراث القومى والثقافة ١٩٨٩ ط ١.
- ٤- البشرى، موسى بن عيسى: مكنون الخزائن ج ١ ط وزارة
التراث القومى والثقافة.
- ٥- السعدى، جميل بن خميس: قاموس الشريعة: ١/٣ طبعة
التراث القومى والثقافة ١٩٨٣ ط ١.
- ٦- الراشدى، مبارك: بحث عام التراث أبو نيهان وفكره
مخطوط. ضمن «قراءات فى الخليلى».
- ٧ - الخروصى، مهنا بن خلفان: مذكرة فى نسب الشيخ وشىء
عن سيرته - مخطوطة.

- ٨ - الخليلي، سعيد بن خلفان: تمهيد قواعد الإيمان ط وزارة التراث القومي والثقافة.
- ٩ - البوسعيدى، مهنا بن خلفان: لباب الآثار طبعة وزارة التراث القومي والثقافة.
- ١٠ - الخليلي، عبد الله بن علي: رسالة الحقيقة - مخطوطة.
- ١١ - السالمى، محمد بن عبد الله: نهضة الاعيان.
- ١٢ - ابن رزيق حميد بن محمد: الفتح المبين طبعة وزارة التراث القومي والثقافة العمانية.
- ١٣ - السالمى، عبد الله بن حميد: تحفة الاعيان طبعة وزارة التراث القومي والثقافة جوهر النظام طبعة مكتبة الاستقامة.
- ١٤ - السيد حمد بن سيف البوسعيدى: الموجز المفيد فى تاريخ البوسعيد.

٣	المقدمة
٥٥-٧	الفصل الأول: شخصية الشيخ أبى نبهان
٧	- المبحث الأول: نشأة الشيخ أبى نبهان
١٠	- المبحث الثانى: دراسته وشيوخه
١٥	- المبحث الثالث: اخلاقه وصفاته
٢٠	- المبحث الرابع: تصوفه
٢٣	- المبحث الخامس: مكانته الفقهية
٣٢	- المبحث السادس: آثاره العلمية
٤٢	- المبحث السابع موقفه من العلم والفتوى
١٠٢- ٥٧	الفصل الثانى: منهج الشيخ أبى نبهان الفقهى
٥٧	- المبحث الأول: تعامله مع الكتاب العزيز
٦٣	- المبحث الثانى: تعامله مع السنة
٦٩	- المبحث الثالث: تعامله مع الإجماع
٧٢	- المبحث الرابع: موقفه من القياس
٧٦	- المبحث الخامس: رأيه فى الاجتهاد

- ٨٦ - المبحث السادس؛ اخذه بالأدلة الأخرى
- ٨٩ - المبحث السابع: أخذ بالقواعد الأخرى
- ٩٢ - المبحث الثامن: أخذ بالقواعد الفقهية
- ٩٧ - المبحث التاسع: وفاته ورثاؤه
- ١٠١ - الخاتمة
- ١٠٣ - مراجع البحث
- ١٠٥ - الفهرس

